

# حروف حرّة

العدد 25، أبريل 2023

مجلة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

الفلسفة بين تهمة الإلحاد  
وفكرة الإيمان

أبو العلاء المعريّ لاجئاً....

تشابك الحبّ والفلسفة: قراءة في  
فيلم "عشاق الفلورا"

المساواة الشوهاء

اللامعتاد في البحث عن الخلاص  
في فيلم "الإيرلندي"

قراءة في رواية "تغريبة القافر":  
ثنائية الموت والحياة

ورود الصغيرة إيذا  
(قصة مترجمة)

حقوق الطفل وواجبات التربية

## تقريباً في هذا العدد

- أبو العلاء المعري لاجئاً... ص. 3  
فتحية اللبودي
- المساواة الشوهاء ص. 4-5  
سمية رطبي
- حقوق الطفل وواجبات التربية . مقال لفيليب ميريو ص. 6-9  
ترجمة: خالد جبور
- الفلسفة بين تهمة الإلحاد وفكرة الإيمان ص. 10-11  
محمد حداد
- اللامعتاد في البحث عن الخلاص في فيلم "الإيرلندي" لمارتن سكورسيزي ص. 12-13  
محمد أمين ضيفي
- تشابك الحب والفلسفة: قراءة في فيلم "عشاق الفلورا" ص. 14  
مريم مقعدي
- قراءة في رواية "تغريبة القافر": ثنائية الموت والحياة ص. 15  
عبر الكوكي
- ورود الصغيرة إيدا. قصة لهانز كريستيان أندرسون ص. 16-19  
ترجمة: رجاء عمّار



التصميم  
حمزة عمر

صورة الغلاف  
happyfamilies.com.au

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

رئيس التحرير  
حمزة عمر

فريق التحرير  
أنيس عكروتي  
فهيمى رمضاني  
مريم مقعدي

حروف حرة

مجلة شهرية تصدر عن  
جمعية تونس الفتاة

تأسست في مارس 2021

## أبو العلاء المعري لاجئًا...



بقلم: فتحية البودي

باحثة دكتوراه (لسانيات)

كلية الآداب والفنون والإنسانيات

مغربية

في عصره ألا هي الرندقة... فهل كان ليرضى أن يكون لاجئًا اليوم وهو المقاوم منذ قرون؟ هل كان أبو العلاء ليرضى هذه المنزلة لنفسه تمامًا لاجئًا في بلد ساهم في تدمير قريته وبلاده وحضارته وحارب فكره الحرّ بإرسال جنود قاتلوا مع من اغتالوه في مسقط رأسه ذبحًا؟ هل يصحّ لمن ساهم في التدمير من ناحية أن يرعى مفكرًا اغتالوه في بلده من ناحية أخرى؟ هذه الواقعة تجعلنا نفتح ملف صورة العربي المسلم في العالم الذي يظهر إعلاميًا رافضًا لكل فكر حرّ حتى وإن كان منه، فرفض أبا العلاء بينما استقبله الآخر الأوروبي لاجئًا لديه... هل كتبت على العربي المسلم أن يُرسم في صورة النّاصر لفضل عبقريته وعلمائه وفلاسفته؟ ألم تُهاجم الكنيسة أيضًا غاليليو وكوبرنيك؟ ألم يتجرّع سقراط السّم أيضًا وهو يعلم أنّها مؤامرة حاكها المقربون منه؟ أليس ذلك حال المسيح عيسى أيضًا عندما خانته يهوذا؟ لكن هل حال كلّ هؤلاء هو حال المعريّ اليوم؟

لم يصور العربي المسلم فقط رافضًا لعلمائه بينما هو واقع يواجهه كلّ مفكر يعارض السلطة السياسيّة والدينيّة الفاسدة، غير أنّ المعريّ هُوَ جَمْعٌ بالرندقة ولم يُقتل أو يُغتال... وخاصّة لم يهرب، فهل كان ليرضى ليكون لاجئًا بعد أن كان عزيزًا في معرّته تمامًا شامخًا تُرفع الرقاب والرؤوس لتراه؟ هل كان ليرضى أن يتأمر عليه كلّ هؤلاء اليوم ويظهروه بهذا المظهر الذي ربّما كان ليرفضه؟ هل كان ليحتفي بقريته وبأمتة اليوم؟



قاعات الدّرس في الجامعات وبين الطلبة.... ويُعاد إلى الحياة تمامًا بعد أن قُطِعَ رأسه في مسقط رأسه معرّة النّعمان من محافظة إدلب، ليُعاد حيًّا من جديد تمامًا ولكن في العاصمة الفرنسيّة باريس، في خطوة أرادها فنّانو سوريا الذين خرجوا من بلدتهم لاجئين وأرادوا بعد عشر سنوات أن يكون المعريّ أيضًا لاجئًا معهم، فهل كان المعريّ ليرضى ذلك لنفسه: لاجئًا في بلد ساهم في ذبحه في مسقط رأسه، لاجئًا يبعثه لاجئون أرادوا أن يعطوا من وجودهم في بلد مُضيف لهم وجودًا فنيًّا حقيقيًّا من خلال صورة أبي العلاء في حفل أقاموه في باريس...

أبو العلاء لاجئًا... وهو الذي لزم بيته بعد أن رفضه واقعه السياسيّ وفي ذلك شواهد من تاريخ الأدب العربيّ، ففي حادثة زيارته بغداد ودخوله على الشّريف المرتضى وما تجادل به معه خير دليل على رفض الطبقة السياسيّة الحاكمة لأبي العلاء فلم يهرب من ذلك الواقع إلى خارج حدود الخلافة العبّاسيّة بل ظلّ حبيس داره رغم الانحطاط المحاط به، حارب الجهل والفساد والانغلاق والاستبداد في عقر داره وهو في منزله لا يبرحه، لم يفرّ لاجئًا ولم يهرب من سطوة السلطان وجبروته بل ناقشه وجادله وأفحمه وفضحه في روائعه. وفي المقابل هُوَ جَمْعٌ حتّى أنّهم بالتهمة الدّرجة

ي يوم من أيّام شهر فيفري من سنة ثلاث عشرة وألفين ونحن تلاميذ نتمتّع أيّما تمتّع بقسم الرّحلة من رسالة الغفران، المدرجة بالبرامج الرّسميّة الموجهة لشعبة الآداب بالباكالوريا في الجمهوريّة التونسيّة، وفي غمار الحرب في سوريا التي كُنّا نتابع أخبارها بقلقٍ موجع، يتناهى إلى أسماعنا اغتيال أبي العلاء المعريّ غير أنّه اغتيال رمزيّ فأبو العلاء الذي عاش بين القرنين الرّابع والخامس وأبدع خلال تلك الفترة من حياته روائع من الفكر العالميّ أدبًا وفلسفةً وفنًّا... لم يكن ليفقد حياته مرتين إلاّ مجازًا، في الأولى موت طبيعيّ وفي الثّانيّة اغتيال من قبل مقاتلي جبهة النّصرة. ومما ورد في تلك الفترة من أخبار صحفيّة: "الجهاديون يقطعون رأس تمثال الشّاعر السّوري أبي العلاء المعريّ". ففي هذا الخبر الصحفيّ توجيه إلى أنّ المقاتلين لم يريدوا إلاّ اغتيال أبي العلاء على نفس الشّكلة التي كانوا يُرعبون بها المواطنين في سوريا من خلال "الدّبْح" ليضنّوا في فعلهم ذاك اغتيال فكره وأدبه وروائعه وقتل الفكر العقليّ الذي كان يمثله أبو العلاء. غير أنّهم لم يكونوا ليصلوا إلى مُرادهم، فالفكر المبدع يتجاوز حدود المكان والزّمان وكذلك أبو العلاء الذي كانت روائعه إلهامًا لغيره من الأدباء وكانت فلسفته مفتاحًا إلى ضرب جديد من التّفكير الحرّ، وكانت رؤيته للحياة نسقا يُدرّس ويُدرّس، وكان جمعه بين الأدب في فنّه والفلسفة في تفكيره من عجائب ما يُدرّس في اللّزوميّات شعرا وفي رسالة الغفران نثرا قصصيا يتجاوز المكان والزّمان في حيكته وفي قضاياها وفي الواقع....

يُقتل المعريّ مرتين غير أنّه لا يموت أبدا في كتابات المفكرين وفي ثنايا

يُقتل المعريّ مرتين غير

أنّه لا يموت أبدا في

كتابات المفكرين وفي

ثنايا قاعات الدّرس في

الجامعات وبين الطلبة

# المساواة الشوهاء

لمصيرها وحدها، بعد أن قاست ونالت في البدايات ما قاست من أنواع السخرية والاستهزاء، وما إن حَقَّت موجة السخرية هذه حتى صارت المرأة - خاصة في الطبقة محدودة الدخل - تقوم بدورين عسرين يثقلان كاهلها؛ فهي منقسمة بين واجبها القديم في البيت والأسرة، وعملها المجهد في الورشة والشركة والإدارة...

وعندما نتحدث عن مسألة العمل فنحن لا نقصد أنها جديدة على المرأة، فمن المعلوم أن المرأة عبر أزمنة طويلة كانت تعمل؛ ففي المجتمع الزراعي عملت في الحقل، وغاصت يداها في التراب، وفي المجتمع الصناعي عملت في الورشة وفي المصنع مع الرجل جنباً إلى جنب، بل إن مهامها كانت أشق وأكثرت تعقيداً من الرجل، بل نتساءل عن عملها بعد أن أقر مبدأ المساواة في الواجبات والحقوق، وعن مكاسيها فيه وخسائرها.

فهذه المساواة التي يزعم المجتمع أنه حققها لها قسمتها ضيزى، فهي وإن سمحت للمرأة بأن تأخي الرجل في أعماله المختلفة، وفي مهامه المعقدة، وفي شؤون يومه الملتوية، والتي تتطلب أحياناً جهداً عضلياً خاصاً، واعترافاً اجتماعياً، فإنها لم تستطع أن تخفف من واجباتها الأسرية الكثيرة، ومعاناتها اليومية اللامتناهية.

## من نزع الاعتراف إلى تعميق الاستلاب

ولقد أوجدت المرأة لنفسها في العالم المتخلف مُتَكَات تستند عليها لتصرف قصورها وقلّة حيلتها وسط واقع ينكرها،

ذلك داخل البلدان المتقدمة بنسبة كبيرة - فإنها لم تستطع بعد أن تحقق لها الإنصاف، ذلك أن هذه المساواة في المجتمع المتخلف زادت من حدة القيد الذي يدمي حريتها وكرامتها، فزادت واجباتها وتنازلت مسؤولياتها.

## المرأة هنا والمرأة هناك !

إنّ المساواة بين الرجل والمرأة في الدول المتقدمة قد نبعت من صلب المجتمع ذاته، انطلاقاً من الشروط الموضوعية التي تمخض فيها وعي الناس، ونظرتهم لها، فما أن اعترّف بها مؤسساتها، والقبول بموازاتها للرجل، حتى كانت كذلك في عين الرجل نفسه، فسارع لتقاسم الواجبات والمهام معها في شؤون البيت والتربية والمطبخ، متحرراً من العادات والتقاليد التي منعتة فيما سلف من أن يتدخل في شؤون النساء، لأنه اقتنع بعدم وجود شؤون خاصة بالنساء في جانب المسؤولية والمهام المنوطة بالبيت.

إلا أن هذا الأمر لم ينطبق على المجتمع المتخلف، ذلك أن المساواة التي نزلت نزولاً مظلماً من فوق، لم تنل ترحيباً ولا قبُولاً لدى المجتمع الملتفّ حول تقاليده وعاداته القديمة، حيث تحتل المرأة دائماً

الدور الأدنى، ومنبع الشرف أو العار، كما لم تلقى تأييداً من طرف الرجل المتشبع بتلك القيم والأعراف، وبالتالي فما إن ولجت المرأة بعض قطاعات سوق الشغل التي كانت حكرًا على الرجل، حتى تُركت

لا شك أن الشرح الذي يتخبط فيه الإنسان داخل المجتمع المتخلف، وهو ذلك الذي لم يصل بعد إلى استيعاب مكتسبات الحداثة، شرح عظيم، إذ له أبعاد مختلفة، وزوايا متفرقة، لا تقف عند المستوى النفسي المنعكس في سلوكه، والمتمظهر في أفعاله، فهي ضاربة بجذورها في عمق مشكله الاجتماعي اليومي، الناتج بدوره عن التعقيدات الاقتصادية التي ولجها المجتمع في العالم قاطبة بسبب التطور الرأسمالي وغزوه، هذا التطور الهادف دوماً إلى التصنيع والتسويق والتحريض على الاستهلاك.

إلا أن تَمَظَهَر هذا الشرح يبدو أكثر وضوحاً في وضعية المرأة التي تُعد الحلقة الأضعف والأكثر هشاشة داخل المجتمع المتخلف، ذلك أن الرجل إذ يعاني من القهر والتسلط الذي يمارس عليه اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدرجات متفاوتة حسب الطبقة التي ينتمي إليها، فإن المرأة تواجه القهر نفسه، بالإضافة إلى قهر الرجل لها، هذا القهر الذي يأخذ صبغاً مختلفة ومتنوعة ابتداءً من نظرة التعالي والدونية، إلى الاحتقار والتهميش، وأيضاً بدرجات متفاوتة حسب الطبقة التي تنتمي إليها.

إن الحركات النسوية وإن كانت قد ناضلت عبر عقود متواصلة لتخليص المرأة من قيد التبعية الذي يأسرها لصالح الرجل، وجعلها مساويةً له في الحقوق والواجبات - وقد نجحت في



بقلم: سميرة رطبي

أستاذة الفلسفة وباحثة في قضايا الفلسفة والمجتمع من المغرب

”

## المساواة التي نزلت

نزولاً مظلماً من فوق،

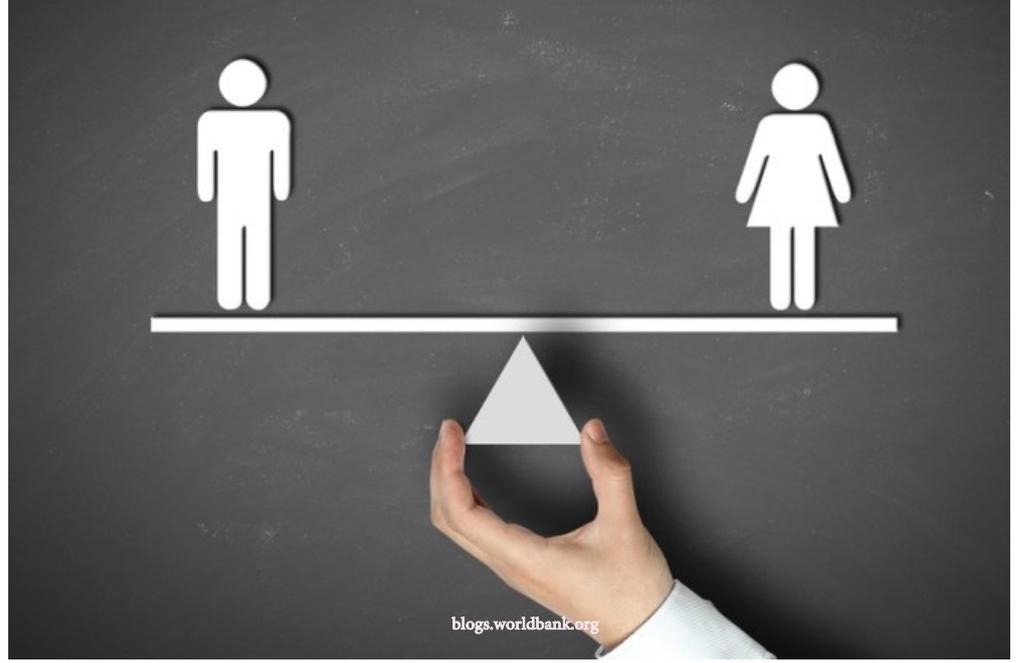
لم تنل ترحيباً ولا قبُولاً

لدى المجتمع الملتفّ

حول تقاليده وعاداته

القديمة

“



”

هذا المشهد الذي

نراه اليوم وكل

يوم بخصوص

وضعية المرأة، لا

يعبر عن الإنصاف

الذي وجب أن

نشمّلها به

“

عن ذاتها، وهنا يكمنُ اعترافها الضمني اللواعي بهيمنة الجنس الذكوري، الذي وإن نافق امرأة من هذا النوع، فإنه لا يوليها سوى النكران المبطن، إذ سرعان ما يُدبّرُ عنها متجها صوب الماضي بحثا عن الأصالة المفقودة المتجلية في انقياد المرأة الطوعي له؛ المرأة الخجول، التي لا تسقط كلمة الرجل أرضا أبدا؛ وهكذا تصبح العلاقة بينهما، لا علاقةً وشائج وأواصر، بل تبادلٌ مستمر لعنف رمزي كامن قد يصير سافرا ماديا في أي لحظة.

ومن ثمة فإن هذا المشهد الذي نراه اليوم وكل يوم بخصوص وضعية المرأة، لا يعبر عن الإنصاف الذي وجب أن نشمّلها به، ولا عن الاعتراف الذي يجب أن تحظى به؛ فنحن ساوينا بينها وبين الرجل في تقاسم مهام الرجل فقط، ولم نساو الرجل بها في تقاسم مهامها، الأمر الذي يزيد من استلابها واغترابها عن ذاتها، وبالتالي فحتى المساواة التي تنادي بها فهي شبيهة بالبنية الاجتماعية والسياسية والفكرية في كونها مساواة شوهاء.

فهي تحاكي المرأة الغربية التي تحررت تحررا طبيعيا، بينما يستمر مجتمعها هي بالنظر إليها كعورة، وجسد ناقص حتى وإن هي تدرت وتحجبت. ولأنها تستبطن هذا النفي الذي لم يتغير منسوبه داخل مجتمعها، مع وعيها بحجم التمييز الذي لم يتزحزح في وعي الأفراد، فإنها تستخدم جسدها كنوع من التعبير عن تمرداها على العقلية الصدئة التي لم ينل منها التطور التكنولوجي ولا الاقتصادي، وهكذا تغدو وسيلة التحرر أداةً لمزيد من النفي والاستلاب.

ذلك أن المرأة في المجتمع المتخلف إذا كانت تعتقد أن حريتها تكمنُ في طريقة لباسها، والتصرف كما تشاء في تغيير سحنتها، وتحديد مواقيتها في الدخول والخروج، فإن كلّ ذلك وعَيرُهُ لا ينبع من الحرية في ذاتها، بل هو مشروط بإعجاب تسعى إلى نيله، واعتراف بتجاهد لانتزاعه، والأنكى من ذلك أن المرأة لا ترى نفسها إلا بعيون الآخر. إنها لا تريد أن تكون قوية إلا في عين الرجل نفسه، مما يكتف اغترابها

فقدما مثلا وخاصة في المناطق القروية والعشائرية التي يكون فيها منسوب هيمنة الرجل مرتفعا بشكل مجحف، كانت تلتجأ إلى الشعوذة والسحر، وزيارة الأضرحة، لكن بعد التغير السريع الذي طرأ على المجتمعات الإنسانية في العالم، جراء التطور التكنولوجي، وتعدد وسائل الاتصال السمعي والبصري والذي لم تكن الدول المتخلفة والتابعة اقتصاديا في منأى عنه، تتغير المتكأ الذي تتكأ عليه هذه المرأة؛ إذ سرعان ما انتقل سحرها اللامرئي إلى سحر ظاهر يرتكز على هيمنة الصورة والإغراء، فغذت المرأة المستلبة تجد سلواها في افتخارها الزائد بعرض جسدها وراء وابل من الكاميرات، إنه شكل جديد من تصريف القهر والحرمان الذي يخصه بها المجتمع المتخلف.

وقد يقول قائل إن هذا حال المرأة في الغرب أيضا، هذا الغرب الذي استطاع أن يتقدم ويتفوق في كل شيء، لكنني سبق ونهبت إن كانت المرأة في المجتمع المتقدم لا تجد حرجا في استمتاعها بحريتها علنا، فإن ذلك نابع من وعي المجتمع ككل بحريتها، وخاصة الرجل، إذ لا يجد عيبا ونقصا إن هي ارتدت لباسا شبه عار مثلا، على عكس المرأة في المجتمع المتخلف،

# حقوق الطفل وواجبات التربية

## مقال لفيليب ميريو\*

وخروقات انطلاقاً منها يصدر المتخصصون أحكاماً من قبيل: "وقد نبهنا إلى ذلك من قبل"، وانطلاقاً من ذلك يُعبرون عن رفضهم حقوق الطفل لأهلاً - بالنسبة لهم - مجرد زر للرماد في العيون خطير.

### "أحقوق المشاركة محض وهم؟"

فإن نحن نظرنا في برهنة هؤلاء وبراهينهم، وجدناهم يتساءلون: كيف يمكن للاتفاقية أن تعرض لحرية التعبير لدى الأطفال، وكيف يمكن أن تشجعهم على المطالبة بالحق في الجهر بمعتقداتهم الدينية أو فناعاتهم، وأكثر من ذلك، كيف تقول إن من حق الأطفال تأسيس جمعيات ونشر شتى الأفكار والمعلومات؟ أسنأ، والحال كذلك، في ضرب من المشي على الرؤوس عوض الأقدام؟ وما لا يُدرِك إلا في أعلى أطوار صيرورة التربية ألا نعتبره قد أنجزَ وتحقق؟ وبكل بساطة، ألا نمنع عناً تربية من هم حديثو عهد بالعالم، باسم تقدير مزعوم؟ أسنأ نمنح الأطفال الحقوق لكي تنفادى إلزامهم باحترام واجباتهم؟ وأنكى من ذلك: "ألا يمكن القول إن هذه الحقوق حجبٌ مُحتمش لاستقالة الراشدين وإلقاتهم العبء على كاهل الأطفال ليقروا مصير العالم، إذ لم يعودوا على بينة مما يجدر بهم نقله إليهم وتعليمهم إياه؟ إننا هنا أمام مخاطرتين: فمن ناحية، نحرم الطفل من حقه في الطفولة مع ما يتضمن هذا الحق من لا مسؤولية ضرورية، ومن ناحية أخرى، نضعه في موقع الطاغية المستبد، فيلزم بأخذه على محمل الجد حتى في أصغر نزواته، ويصير بذلك وكأنه مديبر للعالم حتى أنه يحدد مصير والديه والقائمين على تربيته.

ولننظر الآن نظرة عن قرب في ما تضمنته الاتفاقية، وبالتحديد في مطلع المادة 12، وهي مادة حَمَّالة رمزيات على كل المستويات، فنقرأ: "تكفل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية للطفل القادر على تكوين آرائه الخاصة حقَّ التعبير عن تلك الآراء بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل، وتولي آراء الطفل الاعتبار الواجب وفقاً لسنة ونضجه." إذا أقرنا بأن هذه الصياغة ليست محض تسوية بين ضربين من الوعي متفاوتين وتوفيق بينهما على مستوى التحرير فقط، فإنها، بالرغم من إقرارنا هذا، تطرح مشاكل شائكة تظهر ما إن نتساءل عن سبل التوفيق بين "الحق في التعبير عن الآراء" والتحفيز بخصوص القدرة على التفكير وبناء الآراء، وعن

التي يهتم بها، وأن يُسمع في كافة أطوار الإجراءات القضائية أو الإدارية التي تعنيه، وأن "يتمتع بحرية البحث عن الأخبار والأفكار وغيرها، وحرية نشرها، في وطنه وخارج حدود وطنه، كائناً ما كانت صيغتها: شفوية، أم مكتوبة مطبوعة، أم أشكال فنية." بل وأكثر من ذلك، فالدول الموقعة على الاتفاقية من واجبا أن تحترم حق الطفل في التفكير، والإيمان والانتماء لأي دين، كما تضمن له حقه في الانتماء لتنظيم من التنظيمات وحقه في التجمع السلمي؛" إلا أن كل هذا مُقيد مشروط بسن الطفل ودرجة نضجه وقدرته التفكير والفطنة.

ولئن كانت أجرة الحقوق الأساسية محط تدقيق منتظم وتقييمات مستمرة، فإن تنزيل حقوق المشاركة لا تفتأ أن تكون بلا شك مسألة شائكة تطرح مشكلات شتى، وبيان ذلك أنه لما كانت الحقوق الأساسية مسألة مستحقات فإن حقوق المشاركة مرتبطة بمسألة واجبات. والحقوق الأساسية إنما تُطبَّق - أو بالأحرى من الممكن تطبيقها - عبر مؤسسات تحرس على احترام النصوص التشريعية التي تحدد مدارات تلك الحقوق؛ والحال أن حقوق المشاركة لا تجد إلى التجسّد سبيلاً إلا إذا توفرت شروط في ظل وضعيات حيث الراشدون والأطفال أنفسهم يظلمون تمام الاضطلاع بواجب التربية. الحق في السكن متعلق بإجراءات التطبيق والتنزيل، أما الحق في التعبير عن الرأي فهو مرتبط بمسألة تربية. وبدون توفر وضعيات ملائمة للطفل تمكنه من التخلص من نزواته ونزواته الأولية، وتجعله مُحصّناً من ضروب التنميط الذي يمارسه عليه المجتمع والإشهار، ومن شتى ألوان السطوة العاطفية أو الإيديولوجية أو التجارية الربحية، فبدون ذلك كله لا تعدو حقوق المشاركة أن تكون محض حقوق جوفاء. والأُنكى من ذلك كون هذه الحقوق قد تصير ضراً وشرّاً لقضية حقوق الطفل إذ أنّ التظاهر بتوفير حقوق المشاركة لأطفال لا عِلْم لهم بها، يؤدي في أغلب الحالات إلى خسارات، بل إلى اعتداءات

غنية عن التعريف المعارك التي خاضها جانوز كوركزك من أجل الاعتراف بحقوق الطفل. وهو يرى أن جوهر هذه الحقوق إنما هو ضرورة أن يعترف البالغون بالطفل باعتباره كائناً كاملاً وفي الآن نفسه أن يضعوا في حسابهم أنه فرد غير تام الاستكمال، وباعتباره ذاتاً جديدة بالاحترام، وذاتاً بحاجة إلى الدعم والمساندة. والطفل ذات تُحترم لأنه مشارك بالفعل في الشرط الإنسانيّ تمام المشاركة (إن "هموم الصغار ليست البتة هموماً صغيرة". كما يذكرنا بذلك جانوز). الطفل يحتاج، بسبب عدم نضجه البدني والعقلي، إلى حماية قانونية مناسبة تضمن له حقوقاً أساسية هي صَمَانة رفاهيته ونموه ونضجه.

### اتفاقية حقوق الطفل: بين الحقوق الأساسية وحقوق المشاركة

استعادت الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل هذه الثنائية إذ عرضت لنوعين من الحقوق: الحقوق الأساسية وحقوق المشاركة. أما الأولى، فهي ما يُعبر عنه بعبارة "الحق في"، أي الحقوق الواجب على المجتمع أن يضمنها لكل طفل، وهي بذلك فروض وواجبات على البالغين. وهذه الحقوق إنما هي الحق في النسب والجنسية، والحق في معرفة الوالدين، والحق في الانتماء إلى أسرة، والحق في التغذية والسكن اللائقين، والحق في الصحة، والحق في المساعدة بالنسبة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والحق في التربية والتعليم، والحق في الحياة الخاصة، والحق في الحماية من كل أشكال المعاملة السيئة والاستغلال الرَبِحِي، والحق في التمتع بكل الضمانات القانونية في حالة شبهة بخرق القانون الجنائي...

وأما حقوق المشاركة فهي "أحقية الطفل في"، وتشمل على وجه التخصيص الحقوق المُتضمّنة في المادتين 12 و13 من الاتفاقية. وتقول هذه الحقوق بأن الطفل بإمكانه أن يمارس بنفسه بعض الحريات المدنية. وبذلك لا بد أن يكون قادراً على "التعبير عن آرائه بكل حرية بخصوص كل مسألة من المسائل



بقلم: خالد جبور

أستاذ اللغة الفرنسية وطالب باحث في سلك التبريز، تخصص ترجمة

التظاهر بتوفير حقوق

المشاركة لأطفال لا

عِلْم لهم بها، يؤدي في

أغلب الحالات إلى

خسارات، بل إلى

اعتداءات وخروقات



كيفية إيلاء الاعتبار لرأي الطفل مع الأخذ في الحسبان سنه ودرجة نضجه، ومع العلم أيضاً أن نص الاتفاقية ذاته يشير إلى السن التي فيها نبلغ شتى درجات النضج. وما السبيل إلى تحديد المسائل التي تمسّ الطفل وما الذي تعنيه بالضبط؟ أهي المسائل التي يهتم بها أو تلك التي تعنيه؟ وضمن كل هذه المسائل التي تعنيه، أيها بالضبط يستطيع الطفل التعبير عن التفاعل بخصوصها وتقديم رأي يؤخذ بعين الاعتبار؟ وهل يجب أن نولي الاعتبار لآراء الطفل بخصوص توازنه الغذائي أو بخصوص التخصصات التي يدرسها بالمدرسة؟ أيجب أن نناقش الأطفال نقاشاً حاسماً في كل معطيات حياتهم اليومية؟ أيجب أن نحاجهم لإقناعهم بجدوى كل قرار نتخذه لمصلحتهم؟

- في جوهرها ملكية، ولا أحد سبق ولا حظ نحلة تنزع نزوعاً إلى الديمقراطية؛ أما للطفل فلا بد من تعليمه كل ما سيمكنه من البقاء والعيش مع الآخرين دون الانزياح إلى الفوضى والتفاني (anéantissement réciproque). ولما كانت اللغة والسلوك والمعتقدات والقيم من ضروب ما يُكتسب، بمعنى أنها ليست معطيات سبقت الطفل حتماً حيسها، فإنه، لذلك نفسه، يستطيع الاعتناق منها. لا وجود إذن لأي تخالف مبدئي بين النقل والحرية، بل بينهما وشائج عميقة مُتمكنة هي وشائج تعاضد وتكامل. فلا حرية تنبثق من الفراغ وإنما الحرية، كل حرية، تُبنى عبر مملك معطيات ووضع مسافة بيننا وبينها ثم بالاعتماد عليها لتأسيس علاقاتنا تأسيساً تدريجياً، سواء أكانت هذه العلاقات انتماء حراً أو رفضاً معقولاً مقلنا.

فلنحاول إذن، انطلاقاً مما سبق، تحديده بعض المبادئ التصنيفية لعلها تكون لنا سندا في السير قدماً وفي مساءلة واقع "حقوق المشاركة" لدى الأطفال، وأن نتفكر فيها تفكيراً لا غوغائية فيه ولا تحجراً ولا تناقضاً.

- يكون الطفل، قبل بلوغه سن الرشد المدني، غير خاضع للقانون، بالمعنى الحرفي للعبارة. صحيح أن المجتمع يمنح الأطفال حقوقاً مرتبطة بالحماية، وخاصة ضد كل أشكال المعاملة السيئة، وأيضاً حقوقاً هي بمثابة إمكانيات مُتاحة كالحق في قيادة مركبات ذات محرك أو الحق في شغل

وانطلاقاً من هذه الشروط، ألا يجوز أن نعتز على ما جاء في الاتفاقية من مفاهيم وأن نعتز بأن نغتنبنا بـ"حرية التعبير" الطفل وإلحاحنا على "إيلاء الاعتبار لرأيه" ضرباً من الخداع القصد منه حجب تنحي البالغين؟ زد على ذلك أن متن الاتفاقية كله يبنى على ضرورة الفصل بين الطفولة والرشد لتحديد واجبات الراشدين من زاوية حقوق الطفل؛ ولكن لا نص فيها يشير إشارة صارمة إلى الخط الفاصل بين الأطفال والراشدين. وهكذا، أليست الاتفاقية مناقضة لذاتها إذ تدعي احترام حرية التفكير والرأي لدى الطفل ثم في المادتين 28 و29 تصرح جهراً بالحق في التربية، وتقول إن التربية تهدف إلى "تنمية احترام الطفل لذويه وهويته ولغته وقيمه الثقافية والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه أو البلد الذي نشأ فيه في الأصل؟ وكيف التوفيق بين حرية المعتقد والتعبير من جهة، وتمكين مبدأ احترام سلطة الأسرة والتقاليد الثقافية من جهة أخرى؟ ألسنا هنا نسبح في مفارقات شتى؟ وعلى العكس من ذلك، ألا تجب العودة إلى أساس المسألة، وأن نقول صراحة إن للطفل حق واحد، وهو أن يُرى من قبل الراشدين الذين لهم عليه سلطة لا يخرج من إطارها إلا إذا رُشد؟

### حقوق المشاركة وواجب التربية

صحيح أن الطفل يأتي إلى العالم وهو لم يكتمل بعد، ولا بقاء له إلا إذا نقلنا له مفاتيح هذا العالم. وهذا الارتباط الذي يجعل منا ناقلين ليس نقيض الحرية، بل شرط تحققها. ولا غرو في أن الحيوان عند خروجه للوجود يكون أكثر عرضة للحمية بالمقارنة مع الكائن البشري، فخلية النحل - على سبيل المثال

وظيفة مأجورة...؛ غير أن الطفل ليس طرفاً مقرراً في الاجتماع الديمقراطي الذي يحدد مستقبله ويفضل مصيره. - إن دخول الذات سنّ الرشد المدني قفزة نوعية أساسية حاسمة وقطعة حادة قوية في سيرورة الذات الحياتية. وهكذا فإن هذا الحدث الحياتي الأساس لا بد من التبرك في التحضير له تحضيراً منهجياً ولا بد أن يميّز تمييزاً رمزياً، وهذا لا يستوجب فقط تربية مدنية منظمة وتعليماً للحق ممنهجاً، وإنما يتطلب كذلك خلق طقس فعلي يسمّ الدخول إلى طور ممارسة المواطنة.

- قبل أن يبلغ الطفل الرشد، ومنذ ميلاده، يفهمه المحيطون به عبر مختلف الوسائل التي بها يعبر عما في نفسه. لكن أن يفهم الطفل ليس معناه التوافق معه وتأنيده، ناهيك عن إرضائه إرضاء متواتراً منتظماً، بل معناه اعتباراً والاعتراف به كذات في طور التكوّن لا كموضوع في طور التصنيع، ومعناه أن يكون البالغون الراشدون حاضرين مدركين لتعبيرات الطفل ومستوعبين إيلها عبر التواصل معه والتفاعل معه، ومعناه أيضاً الاعتراف بحقه في التعبير مع الاحتفاظ بالحق في التقرير صوتاً لمصلحته.

- يجب أن يُدفع بالطفل أثناء نموه إلى خوض تجارب أسرية عائلية ومدرسية ومجتمعية تستوجب التزامه، وما يميّز هذه التجارب - الوضعيات هو ألا نجاح لها ولا اكتمال إلا إذا انخرط فيها الطفل وتحمل فيها قسطاً من المسؤولية. وهكذا تنتقل علاقة الراشدين به تدريجياً من "علاقة الخدمة" إلى "علاقة المصاحبة". - يضطلع الراشد في

## أن يفهم الطفل

### ليس معناه

### التوافق معه

### وتأنيده، ناهيك

### عن إرضائه إرضاء

### متواتراً منتظماً

## في مديح التقييد الجميل: من أجل تكوين حقيقي للطفل باعتباره ذاتا

لتحاول استخلاص بعض النتائج التربوية المحددة انطلاقاً من مجموع الاعتبارات المذكورة أعلاه، ولنتساءل بشأن ما يقتضيه واجبنا في التربية مرتبطة بتكوين الطفل باعتباره ذاتاً، أي طفلاً قادراً على التفكير واتخاذ القرار بشأن مصيره.

تقتضي التربية - سواء أكانت أسرية أم مدرسية أم اجتماعية - إرجاء المرور إلى الفعل وإبعاد الاندفاع الغريزي، وذلك شرط أساس لقيام الفكر وتطوير إرادة عقلانية ... إن أنجيل علم النفس المعاصر ذات الإيمان الساذج بأنه عوّض علوم التربية التي يجهلها تحثُّ المُربِّينَ على معرفة قول "لا" في وجه الطفل، بيد أن المبدأ التربويّ الأول كان منذ زمن طويل ولا يزال: "لا. ليس الآن! فكر في الأمر على مهلك، ولتأخذ الوقت الكافي لنناقشه، وبعد ذلك تُقرّر". هذا المبدأ هو الأساس الذي تقوم عليه التنظيمات التي نهدف من خلالها، على سبيل المثال، إلى تحضير وتأسيس مجلس القسم على مستوى الأقسام، أي في العملية التربوية المؤسسية حيث غالباً ما تتدوّج عبارة: "ستتكلّم عن ذلك في مجلس القسم!" ولأنّ مجلس القسم محدّد، زمنه مضبوط وكذلك مكانه، ولأنه مُطرّق بقوانين، فإنه فضاء للتداول والمناقشة حيث أصغر الأطفال يستطيع مواجهة أضخمهم لأن الكلام هو الوسيلة الوحيدة المسموح بها فيه. إنه فضاء يجبر كل من فيه على التعبير بالكلمات عن الصدمات والمعاناة والاحتجاجات والصعوبات التي صارت قابلة للتحويل إلى كلام. ولكي يشتغل المجلس على هذا النحو ولكي يتحقّق من تتوسل به من أهداف، لا بد أن يحترم مجموعة من القواعد المؤسّسة التي إن غابت صارت الفوضى مصير كل تبادل، [أمثلة تلكم القواعد]: "أصتُ لمن يتحدث"، "أطلب الكلمة قبل أن أتكلّم"، "لا أهرأ من أي أحد... ولابد أيضاً أن يكون المجلس منظماً تنظيمًا صارماً، فيُعيّن له رئيس ومستشار، وأن يكون لكل مجلس سجلّ تدوّن فيه القرارات المتخذة، كما ينبغي استعمال عبارات محدّدة تجعل التواصل السليم ممكناً وذلك نحو: هدهو... " لقد بدأت أشغال المجلس"، "هل تعتقد أن هناك أمراً ليس على ما يُرام؟ ينبغي إذن أن تشرح ذلك!". إن المجلس حجر الزاوية في نُظُميات الفصول الدراسية وذلك راجع لكونه يُستخضّر في كل لحظة من لحظات سيرورة التعلّم، أي في كل أوقاتها وأمكناتها التي فيها التعبير ممكّنٌ (التي، في الآن ذاته، تفرض نوعاً من إرجاء التعبير، وهكذا ينغرس التفكير في قلب أنشطة الطفل كلّها. يُسجّل المتعلّم ما يودّ قوله للمجلس في ورقة أو دفتر، ويضعها في علبة

تربويّ ممتد زمنياً، ومهمّة تستدعي يقظة وتستوجب حضوراً وتستلزم إبداعاً وصرامة وجهداً دؤوباً، وهذه الأمور كلّها هي تكلفة تكوين المواطن في المجتمع الديمقراطي.

نستطيع إذن، بناء على ما تقدّم، إعادة صياغة الفكرة الأساس المتضمّنة في المادة 12 من اتفاقية حقوق الطفل، وذلك على النحو التالي: "من واجبنا ضماناً حقّي التعبير للطفل عندما نكون قد أوجدنا الشروط التي تجعله قادراً على التفكير وتيسّر له بلورة أفكاره وصياغة آرائه صياغة قومية. وهذه الآراء لا تُؤخذُ بالاعتبار إلا إذا تعلّقت بنطاق من التناقضات التي يستطيع الطفل فيها الاختيار بعد تفكّر وتدبّر". فلنُشَمّر على السواعد إذن ولنجعل الطفل في الأسرة يبلغُ طور التعبير عن آرائه تعبيراً عاقلاً، وذلك من خلال كل الفرص التي تفيض بها الحياة اليومية، كأنّ نجتهد في العمل معاً، ونتفادى المواجهة لِنَلْتَمِمْ على مهمّة ننجزها جميعاً، وأن نتواصل عبر الوسائط ذات القيمة العظيمة والتي قد تكون قراءة مُصنّف من مصنّفات الآداب للشباب، كما قد تكون تحضير حلوى بالشوكولاتة أو البحث في شبكة الانترنت عن برنامج للعبة وغير ذلك... ولنحشد الطاقات أيضاً لجعل الفضاء المدرسي فضاءً يستطيع فيه المتعلّمون بانتظام النظر في الشروط الكفيلة بجعل اشتغالهم وتعلّمهم اشتغالا وتعلّماً جماعيين. لنفكر إذن في وضعيات يستطيعون فيها التداول والتحاوّر والمناقشة بخصوص الطرائق التربوية وكل ما من شأنه أن يُيسّر الوصول إلى المعرفة وأن يزيد فرض الإعداد لممارسة المواطنة؛ عوض البقاء في نطاق ممارسة ديمقراطية شوهاء، تتمثّل في وهب ممثلي المتعلّمين الحقّ في مناقشة موضع الكراسي في ساحة المدرسة والقانون الداخلي الخاص بالدراجات ونحو ذلك. وعلى صعيد كل الهيئات، سواء تلك المرتبطة بالحق والقانون أم التي تُعنى بإدماج الأطفال في المجتمع، حيث يُراعى رأي الطفل في الأمور التي تخصه، فلنُتأكد من أننا خصّصنا الوقت الكافي لتجاوز ردّات الفعل الغريزية، ولنتحقّق من أن الراشدين كانوا ملتزمين بالحضور بجانب الطفل ليسمعوه ويطمئنه ويعينه في بلورة أفكاره والتعبير عنها تعبيراً صحيحاً.

هذه الوضعيات بتحفيز الطفل على التفكير في أفعاله، مما معناه أنّه لا ينبغي فقط السماح للطفل بالتعبير بل يجب تشجيعه على ذلك. وممارسة التعبير لا بد أن تتم داخل إطار تربوي يسمو بها من طور الاستجابة المحضة، لأنّ احترام رأي الطفل لا يعني البتة مباركة ردود فعله الغريزية الفورية، بل يعني عكس ذلك: أي إعانتته في نأيه عن الانقياد للغرائز، وتمكينه من الوقت اللازم للتفكير، ومصاحبته عبر إعادة صياغة تعبيراته ونحو ذلك. لا يجوز إذن الفصل بين حق الطفل في التعبير وواجب الراشدين المتمثّل في توفير الشروط الكفيلة بجعل هذا التعبير تعبيراً واعياً، مُوجّهاً بالسعي إلى الصواب والدقّة، أي تعبيراً الطفّل مسؤول فيه وملتزم به التزاماً ديمقراطياً.

- ينخرط الطفل، طيلة سيرورة نضجه، في وضعيات تقتضي منه التعبير عن رأيه واتخاذ قرارات فردية أو جماعية، وفي ذلك تمرّن على ممارسة المواطنة. لذلك فمهمّة الراشدين إنما هي التفريق بين الأمور التي يتداول فيها مع الأطفال وما لا يقبل التداول. وكما يفرض تكوين المواطن في المجتمع الديمقراطي عدم تضليل الأطفال بشأن سلطات مصدرها مواطنون يمارسون مواظبتهم، فإنه يقتضي أكثر من ذلك، أي تحديد عناصر وتعيين مساحات حيث يكون بوسع الأطفال اتخاذ قرارات حقيقية تحت إشراف الراشدين.

- إن مساعدة الأطفال في اتخاذ القرارات إنما تعني تمييز المساحات حيث يمكن للطفل أن يختار اختياراً بين عدّة ممكنات، وتعني أيضاً إيجاد الشروط التي تُيسّر له التداول والمناقشة، ومصاحبته وإرشاده حتى يصير قادراً على اتخاذ القرارات على المدى البعيد لكي يكتشف بنفسه سير الحياة وذلك بالتفكير في أموره وفحصها في الوقت المناسب دون خرق للمراحل. ولئن كان الطفل ذاتاً في طور التكوّن فإنه لا بد أن يخرج من منطقة الراحة، ولئن كان كائناً ضعيفاً غير مكتمل فإنه لمن واجب الراشدين الحيلولة دون تحوّل ذلك الخروج إلى تهلكة.

- حق الطفل في التعبير وفي اعتبار آرائه ليس المقصود به استقالة الراشدين في علاقاتهم به، وإنما المقصود به عكس ذلك، أي تمكين الطفل من التعبير وجعله فاعلاً في وجوده، وهذا فعل

## إن مساعدة

## الأطفال في اتخاذ

## القرارات إنما تعني

## تمييز المساحات

## حيث يمكن للطفل

## أن يختار اختياراً بين

## عدّة ممكنات،

## وتعني أيضاً إيجاد

## الشروط التي

## تيسّر له التداول

## والمناقشة

ولكي يتعلّموا التفكير على مهل وبروية؟

- كيف نعلمهم استشراف المستقبل والتفكير تفكيراً منتظماً والتشبع بالثقافة ابتغاءً أفعال سليمة قوهمة؟

إنّ تكوين الطفل بتمرينه على الفكر والكلام، أي على التدبّر وفي الآن ذاته على التعبير عن آرائه تكويناً له الكثير من المتطلبات. فهذا التكوين يقتضي قضاء وقت طويل بصحته في الأسرة كما في المدرسة، وفي أوقات التعلّم والتربية كما في الأوقات المخصصة للترفيه، وبالتالي لا يصحّ أن نكتفي بالتباكي والقول بكل أسى إن الأطفال لا يحسنون التواصل ولا يضبطون الأدوات اللغوية، لأننا بذلك نجحد واجبنا في تطوير طرائق تربية عمادها التواصل الشفهي، وننكر اللذة الكامنة في الانغماس في السرديات. فلكي يصير الطفل قادراً على " التعبير الحر عن رأيه في شؤونه"، لا بد لنا أن نعلّمه لا فقط كيف يتكلّم، بل وأكثر من ذلك، أن نعيّنه في إثراء رصيده اللغوي وأن نساعدته حتى يتعلم كيف يصوغ آراءه صياغة معقولة مُقنعة؛ والحال أنّ التربية الأسرية، شأنها في هذا شأن نظيرتها المدرسية، لا تتوانى في أن تستبعد أقوال الطفل دون أن تخلق وسائل تُيسّر للطفل تعلّمه صياغة أفكاره وتجعله يسمو حتى يبلغ ما تُطلق عليه الاتفاقية اسم " الفطنة" أو " الرشد". هنا يظهر أصل من أصول أخطر ألوان التفاوت، إذ نرى الهوة الشاسعة بين الأطفال الذين يجدون بجانب أسرّتهم العدة التي تجعلهم متعلمين جيدين ومن لم يجد إلى ذلك سبيلاً، بل والأخطر من ذلك، يظهر هنا تهديد سافر لحقوق الطفل، ومردّد ذلك أنّ هذه الحقوق هي في جوهرها حقوق تحكمها الازدواجية: فكما من حق الأطفال أن يخوضوا طفولتهم، فإن من حقهم كذلك يتعرعوا ويكبروا كما يجب، ومن حقهم أن يعيشوا الحاضر، بيد أن الاستعداد للمستقبل حقهم أيضاً. إن هذه الأمور ليست بالسهلة الهينة، ولكن من ذا الذي قال إن التربية شأن يسير بسيط؟

\* أستاذ فخري في علوم التربية بجامعة لوميير - ليون 2 (université LUMIERE - Lyon 2)

يستعيد معه بأناة وروية كلّ المسار الذي قاده إلى ذلك. ينبغي إعانته في شرح ما وقع ودفعه إلى التساؤل عن اللحظة التي اقترب فيها الخطأ وعمّا كان يجب أن يفعله وما كان للآخرين أن يفعلوا إن كانوا في مكانه، وهذا يعني أن تُدرّس كلّ الممكنات التي نَحّاها وتجاهلها وأن يتصوّر سيرا للأحداث بديلاً سينفخه مستقبلاً. المُبتغى من ذلك هو كشف السبب التي كان من الممكن سلوكها، وفهم الأسباب التي حالت دون ذلك، وتحديد ما ضاع من فرص، وتحديد ما كان يقتضيه الموقف من تعقل وبصيرة وإرادة وإعانة من أجل حسن الاختيار، وزبدة القول أن الهدف من ذلك كله إما هو استعادة المسار الذي سلك واستخلاص العبر منه لتعلم اختيار السبيل الصحيح اختياراً صائباً في المستقبل. يتعلّق الأمر إذن بالخروج من منطق " الحجة بالذات" والتدبير في هذه الذات عينها وهي تتحدث وتعمل، وذلك معناه فحص الأقوال ووزن الأفعال عبر عيون الآخرين والتجرد من هيئة الضحية المتأرجحة بين الرضى والتأسي. إنه انتقال من " هذا ما فعلت، وقد تمّ الأمر!" إلى " هكذا أرى الآن ما فعلتُ أمس، ويمكن اعتباره على هذا النحو. هذا ما كان ممكنًا أمس وقد يكون كذلك في مستقبل الأيام!" ولكي يكون الطفل مخلصاً لكلمته، لا بد أن يكون بجانبه الراشد، بأن يُظهر له ما سيؤفّر له من الإعانة والمساعدة إن الطفل التزم بما سيفعل، وأن يقول له إنه وحده القادر على إتمام ما يفعل وأن الراشد سيظل معه، وأن يُطمئنه ويطمئن عليه بانتظام، لكي يذهب في ما يفعلان إلى تمامه ويكون كليهما قد أوفى بكلمته. فالراشد حليف الطفل في سعيه إلى تجاوز نفسه.

• • • • •  
يضع التنزيل الفعلي لحقوق الطفل عامة و"حقوق المشاركة" خاصة المربين والمدرسة بل المجتمع قاطبة أمام مساءلة عميقة [يمكن تلخيصها في الأسئلة التالية]:  
- ماذا نفع، بشكل ملموس، كي يكتسب أطفالنا الجرأة على التعبير تعبيراً واعياً وسط أمواج الشعارات التي تملأ العالم؟  
- ما السبل الكفيلة بمصاحبتهم حتى يتأون عن النزاع الفورية

للسائل، بعد أن يكون قد كتبها على رسله وفكر فيما وضع فيها وناقشه مع رفاقه. هذه العملية تسبق التعبير جهرًا الذي يفرض عدم التلظظ بكسل كلام، ويستلزم ترك ردود الأفعال الآتية، كما يقتضي جعل الكلام صارماً صرامة التفكير. يجب أن يكون النشاط التربوي منظماً تنظيمًا يجعله كطقس من الطقوس، وذلك لتمكين الطفل والمراهق من التطور داخل إطارات مُهيكلّة ودالة في الآن عينه، ذلك أنّ أول وظيفة تشغلها الطقوس إنما هي إدخال الانتظام والاتساق في دقّ الحياة السيكلوجية. وأمام النزاع ذات التعبير الفوضوي حتماً، وأمام الأحداث الخارجية التي تشب اعتبارياً، فإن الطقوس بمثابة فواصل متواترة تضي الأمان على الوجود في العالم وتجعل العيش فيه ممكناً، بعيداً عن التيه. ولأن الطقوس ذات تأثير في أماكن مؤمّنة من الضربات الخارجية كما الداخلية، فإنها تُمكن الذات من الاستقرار الضروري للوجود عوض الرضوخ للاضطرابات الفورية. ولأنها تزوج بين لحظات معيّنة وضروب من السلوك الخاص، فإنها تمنح إمكانيات انخراطنا قلباً وقالبا في كلّ ما نفعل وبالتالي الحد من الانحرافات التي تهدّدنا على الدوام. ولئن كانت الطقوس تبيّننا للقطائع وتنسيقاً للتفاعلات بين شتى أعماط تنظيم الجماعات التي أوكل لكل منها مهمّات مبسطة بقواعد متعددة، فإنها تُوفّر المعالم التي بفضلها يستطيع الأشخاص الاندماج في أنشطة جماعية مطّردة. ولأنها تُضع هندسة مكانية وفي الوقت عينه سيكلوجية، فإنها شرط جوهري لبلوغ تكون الذكاء، أو ما أطلق عليه الفيلسوف كابريل مادينييه تسمية " تحويل الشّئت".

بالعادات إذن يُنظّم الوقت والفضاء وتُرتّب الأشياء وتوضع الإشارات اللازمة لاستيعاب البنية الذهنية التي من المفروض أن تتوفر لدى الذات، وهذا ينطبق على أكثر العادات الاجتماعية تجذراً في الحياة اليومية كوجبات الطعام وأوقات الراحة والترفيه واللقاءات والوضوء والأنشطة المهنية، كما يسري على المؤسسات القانونية والدينية، وعلى المسارح والمتاحف وعلى القواعد المنظمة للرياضات أو الألعاب الجماعية، ففي هذه الأمور كلها عاداتٌ مخصوصة تصقل سلوك الفرد وذلك بحدّه بإطار يُحدد ما يلزم من أفعال وما يُتطلب من تفكير، والفعل والتفكير إنما هما شرطان ضروريان لنجاح كل ذلك. تعني التربية مصاحبة الطفل في بحثه المستميت عن هوامش حريته فإن أخطأ الطفل أو أخفق فأصبح أمام عقبة كأداء أو وقع في مأزق فإن المرثي لا بد أن

## بالعادات إذن

## يُنظّم الوقت

## والفضاء وتُرتّب

## الأشياء وتوضع

## الإشارات اللازمة

## لاستيعاب البنية

## الذهنية التي

## من المفروض أن

## تتوفر لدى الذات

## الفلسفة بين تهمة الإلحاد وفكرة الإيمان

في المنتصف تقف الفلسفة مدافعة منها يأخذنا إلى الإيمان، أو كقول ابن يأخذنا ضرورة إلى الإيمان به، إذ يمكن له عن نفسها من كل ما يقال عنها، ومن خلدون حول من يقرأ القليل في ان يأخذنا إلى الجهة المقابلة، حيث اللا- جهة أخرى تحمل هم عصرها على الفلسفة سيتجه بأغلب الاحوال إلى إيمان، استنادا إلى كون ان الله فكرة تم اكتافها. فلكل جيل قضاياها الخاصة، الالحاد ومن يقرأ الكثير منها يتجه اختراعها عن طريق الذي يؤمنون به. هذا التي لا يمكن للفلسفة ان تتجاهلها. للإيمان. وكأن الفلسفة بهذين القولين التضاد بين الإيمان والالحاد يأخذنا مباشرة فكما قال هيغل: "الفلسفة بنت لأخذت على عاتقها اقتياد الناس إلى الى صميم السؤال الجوهرية والذي أرهق عصرها". فرغم تعدد فروعها، إلا أنّ الإيمان. وما الذي يرر هذا القول إذا الفلاسفة خاصة والبشرية عامة سؤال هل محاولة فهم الوجود الانساني انطلاقا وجدنا في الجهة المقابلة كبار الله موجود أم لا؟ هو سؤال خاطئ، من فهم الوجود بعامة، يبقى الشغل الفلاسفة الملحدون فهل يمكن القول بالإجابة عن هذا السؤال بالنفي أو الشاغل لمختلف الأنساق الفلسفية. أن سارتر لم يكن يوما متعمقا أو هل بالتأكيد تستوجب منا معرفة عينية بالله. فقد حاول الإنسان منذ بداية تشكل أن الأعمال الفلسفية الكبرى لهايدغر للإقرار بوجود الشيء يستوجب منا وعيه ان يجد تفسيراً لكل ما يدور أتت على وجه الصدفة ولم تكن إثر معاينته معاينة مباشرة، وهذا السؤال عجز حوله، مما جعله يعتقد في القوى دراسات وقراءات معمقة؟ عن الإجابة عنه كل الفلاسفة تقريبا. وهو الغيبية التي تتحكم في العالم ومنه إلى لا يمكن ان نختزل الإيمان أو الإلحاد في البعد الكمي للمخزون الفلسفي مستوى الإيمان من عدمه بالله، أي ان الاولى تقرر بوجوده استنادا إلى لشخص ما. ولكن إذا تعمقنا أكثر في التجارب الدينية المختلفة، والشق تاريخ الفلسفة، فيمكن أن نجد لها الثاني يقر بعدم وجوده. عدة مهام، فالكل يفرد لها تعريفها فهل يمكن للفلسفة أن تجيبنا على الخاصة المصوغ بتجربته الشخصية كل ما يدور في خلدنا من غموض بعد طول تأمل. لكن قيمة الفلسفة ميتافيزيقي؟ وهل أنّ مهمتها أن لا تتأني من مهمّة مفترضة لها أن تساعدنا على الوقوف على أرض تقود إلى الإيمان أو إلى الإلحاد. لكن إلحاد. وإذا حاولنا تطبيق المنطق الأرسطي الإيمان؟ أو أن نعبر جسرا لبلوغ تتأني من السؤال: الإيمان بماذا أو نطلق من لأن قيمة كل من الالحاد واللا- مملكة الإلحاد؟ الإلحاد بماذا؟

إلحاد هما قيمتان متنافرتان لكن يشتركان في فعل الاعتقاد، أي ان الالحاد هو الاعتقاد بعدم وجود الله أما الإيمان هو الاعتقاد بوجود الله أو وجود قوة أكبر من تصور الانسان يرجعها التيار الماركسي- الى



بقلم: محمد حدّاد

دكتور في الهندسة الكهربائية  
وطالب فلسفة

mohamed@tounesaf.org

الإيمان يأخذنا الى

التفكير في الله. أما

التفكير في الله فلا

يأخذنا ضرورة إلى

الإيمان به، إذ يمكن له

ان يأخذنا إلى الجهة

المقابلة



”

ما يؤصل العداوة

بين الدين

والفلسفة لا

يكمن في الإيمان

والإلحاد، بل في

كون الدين يحمل

إجابات جاهزة

من خلال

النصوص الدينية

“

الدين فمحله القلب. وبين هذا وذاك يصبح العلم نتيجة نهائية لعمل الفلسفة. بمعنى ن الإجابة النهائية لا تعني موت الفلسفة لكن تعني ولادة علم جديد مستقل بذاته عن مجال الفلسفة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الفلك ...

وفي النهاية يمكن ان نختم بما قاله برتراند راسل على "إن الفلسفة تستحق ان تدرس ليس من أجل ان نجد فيها أجوبة دقيقة عن الأسئلة التي تطرحها... بل بالأحرى بسبب قيمة الأسئلة ذاتها"

للأسئلة نظن انه تم الإجابة عنها في انساق فلسفية متعددة لكنها تسقط في اول عملية اكتشاف الجانب اللا-مفكر فيه. مثل البنايات الشاهقة التي نشيدها لكنها تسقط مع أول اختبار لقوة خفية، هي الله بالنسبة المؤمن والطبيعة بالنسبة للملحد.

فالفلسفة هي بناء فكري ينتجه العقل. أما الإيمان هو محله القلب. لكن ما يؤصل العداوة بين الدين والفلسفة لا يكمن في الإيمان والإلحاد، بل في كون الدين يحمل إجابات جاهزة من خلال النصوص الدينية والتي تستمد مشروعيتها من الوحي الإلهي. يمكن ان نلخص بأن محل الفلسفة هو العقل أما

الطبيعة. حتى وإن كان هناك اختلاف في نقطة وجود الله من عدمه فإن الاشتراك يبقى ثابتا في اعتقاد إلى درجة الجزم أو الحقيقة الثابتة لكل الفريقين. هذا الجزم لا ينتمي إلى حقل الفلسفة، بالفلسفة لا تصل إلى حقائق ثابتة، فمتى وصلنا إلى الجزم بقضية ما تكون محل خلاف فإنها بنا من مرحلة الفكر الحر إلى مرحلة تتجسد في شكل ايديولوجيا أو في شكل طقوس دينية.

بما أن الفلسفة تعتمد اساسا في وجودها على حرية الفكر فهي لا تبحث عن إجابات للأسئلة وإنما هي سلسلة متلاحقة من الاسئلة الوجودية والجوهرية. ليس دور الفلسفة أن تأخذنا إلى الإيمان أو الإلحاد. هي تجعلنا نقف بين الجانبين في عملية فكر متواصلة نبحث عن أجوبة

# اللامعتاد في البحث عن الخلاص في فيلم "الإيرلندي" لمارتن سكورسيزي



بقلم: محمد أمين ضيفي

طالب فلسفة ومهتم بالبعد الفلسفي  
لفن الاخراج في السينما الامريكية

”

لماذا يصر سكورسيزي

على أن يلقي أطروحته

دائماً في ساحة

مجتمعات المافيا؟ ألا

توجد ساحة أفضل

نرى فيها قيمنا التي

نعيش لأجلها بعيدا

عن الجريمة؟

“

- تريد هذا التابوت لرجل أو لامرأة؟" -  
"بل لي"  
هكذا كانت النهاية. أظن رحلة الثلاث وأربعين عاما منذ صدور تحفة السبعينات والأسطورة الخالدة للمخرج مارتن سكورسيزي "سائق التاكسي" (Taxi driver 1976) قد انتهت بإيجاد سكورسيزي للخلاص الذي لطالما بحث عنه نجمه روبرت دي نيرو وذلك في نهاية فيلم "الإيرلندي" (The Irishman, 2019). كانت هدية لكل من عشق نسقية يصوغها فيلسوف لم يتوج. ربما كان أول من أدرك عظمة القادم من السينما جيل دولوز خاصة مع تعليقه النقدي على فيلم "سائق التاكسي". أكاد أجزم ان المقصود في قول الفيلسوف الفرنسي "إن كبار "مخرجي" السينما هم أشبه بالرسامين والموسيقيين العظام. إنهم أفضل من يتحدث عن عملهم، ولكنهم، فيما هم يتحدثون يصبحون شيئا آخر، يصبحون فلاسفة أو منظرين" كان وباستحقاق مخرجنا مارتن سكورسيزي، للأسف لم يعش فيلسوفنا ليري خاتمة الثورة في ميدان السينما التي أحدثها مخرجنا منذ منتصف السبعينات وحتى سنة 2019 ولكننا فعلنا. فدعني أحدثك، عزيزي القارئ، عن خاتمة هذه الثورة. يمكن تناول فيلم "الإيرلندي" كعمل منفصل وهو كذلك حقا، وإن كان تنويجا لأفلام سبقته قدّمت النسقية المفهومية لسكورسيزي والتي تمثّلت أساسا في الولاء، الصداقة، المعنى وأخيرا الخلاص. لن أخصص الكثير لما سبق الخلاص من مفاهيم فهذا سيتطلب استعادة ونقدا مفصلا لجملة من الاعمال المهمة لسكورسيزي وخاصة "رفاق جيدون" (GoodFellas, 1991) والذي كان المحاولة الجادة الأولى لبلورة مفاهيم أساسية في النسقية هي الولاء والصداقة، إضافة إلى "ذئب وال

العصابة؟ ألا تعتبر الجريمة رمزية عند سكورسيزي؟ أليست مجرد فضاء لل طرح وليس التنظير لها غاية في حد ذاتها؟ لماذا يصر سكورسيزي على أن يلقي أطروحته دائما في ساحة مجتمعات المافيا؟ ألا توجد ساحة أفضل نرى فيها قيمنا التي نعيش لأجلها بعيدا عن الجريمة؟ في الواقع يجب نذهب إلى ديفيد فينشر المخرج الشهير، فإجابته عن قرار سكورسيزي اعتماد الجريمة دائما كسبيل ل طرح الاطروحة كانت عبر عمله التلفزيوني الاحداث "صائد العقول" (Mindhunter, 2017) حيث تحدثنا ديبيل صديقة المحقق الفيدرالي هولدن فورد عن نظرية الانحراف الاجتماعي لدوركايم وأن الجريمة ليست الا انعكاسا لأزمة في المجتمع. يستعمل سكورسيزي إذن الجريمة كفضاء لبناء نظريته. يعود سكورسيزي لمفهوم الولاء في عديد الأعمال ودائما بصورة مغايرة عما سبقها فالولاء هو ما جمع الرفاق وكوّن الصداقات والولاء هو ما أدى لخيانة أفراد العصابة بعضهم بعضا بحجة الولاء. لا يختلف فيلم "الإيرلندي" عن هذا المسار، ففرانك الإيرلندي هو حارس هذا الولاء، والقصد هنا الولاء التام للمبدأ. أنت حر لتنضم إلى العصابة ولكنك مسؤول عن حياتك إن كان أي قرار لاحق لا يحترم تلك المسؤولية التي أردت تحمّلها بكل حرية. ليس الولاء حقا للدون. أنت لن تقابله. بل الولاء للقرار. فهل أنت أهل لتتخذ القرار؟

يتجه لغرفته ويترك الباب مفتوحا قليلا. هي عادة لازمته منذ أن أقدم على قتل صديقه جيمس هوف، وهي نفس عادة هوف. فرانك يودع صديقه هوف عبر هذا المشهد. الا أن سكورسيزي لا يخاطبنا في هذا المشهد، بل هو يلقي التحية على المخرج الأمريكي فينس غيليجان. ولمن لا يعرف فينس فهو فنان التفاصيل وفيلسوف الخلاص. يمكنه أن تناديه بالمسيح الجديد، ولكن لا انصحك بطلب الخلاص منه. فالخلاص عنده هو موت عظيم بعد فعل الصواب. سكورسيزي مثل معظمنا شاهد الخلاص الذي ينظر له فلم "رفاق جيدون". هل هو الولاء

Street, 2013) أي حديث مفصل عن هذه الاعمال سيحتاج إلى مجلدات، فنحن نتحدث عن اعمال لا يفضل سكورسيزي ذاته مواضيعها بل يعيش من خلالها. ينتهي فرانك من شراء تابوته ويعود إلى مركز رعاية المسنين. في طريقه يرى من تلك الاعين التي أرهقها الزمن أرواح الأعداء الذين كانت فوهة مسدسه اخر ما يراه بعضهم، أما لبعضهم، فكانت ابتسامته الباردة. في تلك اليد يرتدي خاتما حرمه منه سكورسيزي طوال عقود اما اليوم فهو يرتديه. هو خاتم الدون. إنه الإيرلندي الوحيد الذي يرتدي ما كان حكرا على الإيطاليين انقياء السلاسة. ربما هذا اعتذار سكورسيزي لروبرت دي نيرو الذي لم يكن في أفلام المافيا سوى نصف إيرلندي او يهودي يفعل ما يعجز عنه الإيطاليون، ولكن الولاء وقوانينه تجعله في المرتبة الدنيا دائما. رجال مكتب التحقيقات الفدرالية هنا. يريدون أن يعرفوا ماذا حدث. من قتل جيمس هوف، ولماذا؟ مرت عقود ورجال القانون عاجزون أن يستخلصوا معلومة واحدة من فرانك الإيرلندي. "تستطيعون التحدث الي المحامي الخاص بي". "سيد فرانك، محاميك ميت". "من قتله؟". "السرطان، سيدي". أرى ما يدور في ذلك العقل الذي لازال يعيش في حقبة الخمسينات في فيلادلفيا: "محظوظ لم تكن إحدى رصاصاتي". "سيد فرانك، تحدث أرجوك. لم يبق أحد لتحميه. مات الجميع. أنت المتبقي الوحيد". ابتسامة ساخرة تطل على وجه الإيرلندي يعقبها رحيل. إنهم لا يفهمون ما عشت لأجله. لا يفهمون الولاء. ليس ولاء لأحد، بل ولاء للذات. أخيرا سكورسيزي يجيبنا عن أي ولاء يتحدث فنحن لم نفهم الولاء حقا عبر فلم "رفاق جيدون". هل هو الولاء



غيلغان خاصة عبر نهاية أهم عمل تلفزيوني في العقد الماضي "كسر سيء" ( Breaking bad). ولكونه شخصا طموحا أراد ان يكون للسينما خلاص خاص بها يتفوق على ما قدمته الشاشة الصغيرة وكان له ما أراد. ردّ على هذا الخلاص بمفهوم جديد على الخلاص بعيد عن فعل الصواب بعد مسيرة من الخطيئة. يؤمن مخرجنا بالحرية الملازمة للمسؤولية عن كل فعل وكل قرار إلا انه في طرحه لمفهوم الخلاص يحيلنا إلى مفهوم الفخر والرضا التام البعيد عن فعل الصواب. لا يعني ذلك أنّ مارتن سكورسيزي محرض بشكل أو بآخر على الجريمة التي اعتمدها رمزا يحيل إلى مفهوم الخطيئة. سكورسيزي يدفعنا للفخر بكل قرار اتخذناه وتحملنا مسؤوليته وحب الحياة التي عشناها بكل قراراتها السيئة. بل أنه يرى أن محاولة إصلاح أي خطأ هو كسر للرضا والخلاص.

الخلاص هنا بعيد كل البعد عن التصور المسيحي له المرتبط بمفهوم الرجاء. فإن كان الخلاص الديني طلبا للصفح وتكفيرا عما سبق من المفارق المتعالي سواء اعتبرناه إليها أم مبدأ أخلاقيا، فالخلاص السكورسيزي هو التقبل السعيد للخطيئة، التقبل الذي يرى الماضي على حقيقته على أنه حدث لا يمكن تغييره أو التغطية عليه بفعل صائب والموت بدافع التفكير ليس الا تظهر جبان للندم. لا ينكر سكورسيزي الندم. قتل جيمس هوبا كان الفعل الذي قتل روح فرانك لا يمر يوم دون ان يتذكر فرانك ذلك الصديق الذي أسس للمعنى معه، معنى واقعي بعيد عن المتعالي. ولكن لا وجود لمعنى خارج عن مفهوم الولاء وفرانك لا يعرف عالم لا ولاء فيه. هوبا قرر تحدي المافيا والإيرلندي يرتدي خاتم الولاء. هي المبادئ ضد الصداقة. هل كان هذا انهيارا للمعنى وتشوها للنسقية؟

يرى سكورسيزي أن المعنى مرتبط لزوما بالفعل الإنساني وليس مفارقا للنشاط البشري بأي شكل. هذا جلي في فيلم "ذئب وال ستريت" إلا أنه ينبّه في نفس الفيلم أن المعنى ليس بالمطلق، أي لا وجوب لتلازم أبدي بيننا وبين المعنى. علينا أن نذكر متى يجب نلغي المعنى، فغوردن بيلفورت الذي وجد معنى حياته في عمله كأكبر سمسار بورصة محتال شهدته وال ستريت لم يعرف متى يتخلى عن هذا المعنى والذي كان سيقوده لحتفه فالمعنى يمكن أن يكون مهددا للوجود وفي نفس الوقت سببا لاستمرار الوجود، والتوازن الذي يضعه الانسان هو ما يضمن استمرار المعنى

لأطول وقت ممكن وسعة حيلة الانسان هي ما تضمن معرفته بالإشارات التي تفيد أن المعنى أصبح مهددا للوجود ذاته.

فرانك ألغي المعنى والغاؤه المعنى هو الطريق الحقيقي ليكون موجودا حتى يأتي موعد الخلاص. لا مكان للمتالية هنا. يدها ملطختان بخطيئة لا فعل يكفر عنها. قتل صديق هو قتل أخ عند مارتن سكورسيزي. إلا أنه أمر إلزامي، وهذه المفارقة التي يطرحها مفهوم الصداقة عند سكورسيزي فكل الأصدقاء في أعماله هم إخوة بل الصورة الأولى للإخوة. أتحدث عن قابيل وهابيل. في "رفاق جيدون" من حققوا المعنى معا واجتمعوا تحت راية الولاء انتهى بهم الامر أعداء يتقبن قتل بعضهم البعض. الصداقة أيضا زمنية عند سكورسيزي. لتذهب صداقة الافلاطونيين للجحيم، يقول سكورسيزي. صداقتي تبدأ بالدم وتنتهي بالدم فهذا ما حصل بين الإخوة وسيحصل بين من أصبحوا إخوة، وهذا لا يلغي جمال المفهوم. أشعر أن سكورسيزي يريد أن يقول لمشاهدي ملحمته: نحن معا في هذا العالم. لا داعي للأكاذيب. خسرنا أصدقاء. خسرنا من ظننا أنهم سيظلون بجوارنا حين يظلم المكان ولكن دائما ما نجد أن من بقي حقا بجانبنا كان الصمت، والرغبة في الخلاص. إذن ما هو الخلاص؟

إنه كما قالت المغنية داريا (Dharia) في أغنيتها "يوميات أوت" ( August Diaries) : "كان يجب أن أحرق ذاكرتك. بدلا من ذلك، تركتها تدمّرني".

يمكننا أن نبيكي دموعا من ذهب على ما حدث أو نحرق تلك الذكري، ولكن ستبقى آثار حروقي في مكان ما. سنتذكر أسطورتنا التي حققناها عبر الولاء للمبدأ وصداقة من استحق صداقتنا. سنسترجع ذكرى المعنى، ولكن لن نعيش في الماضي فنحن ندرك أنه حدث وأن ما حدث لا يمكن تغييره. سنعشق تلك الحياة التي قدمت لنا أصدقاء تحولوا إلى أعداء ومعنى كاد أن ينهي وجودنا قبل أن نجد الراحة وأي راحة؟ هي راحة انتظار الموت وكأنه صديق قديم أتى يعفينا من الولاء الذي عشنا حياتنا في كنفه.

يبتسم فينس غيلغان عندما يرى ما تقدمه السينما في منافسته. تجب إغاظة سكورسيزي حتى يخاطبنا ويخاطبه عبر العمل الأهم له حاليا والذي انتهى سنة 2022 أي ثلاث سنوات بعد فيلم "الإيرلندي" طبعا اقصد Better Call Saul ليقول لمارتن: لقد نسيت الحب، أو لم تفعل؟ الخلاص ليس موتا بعد فعل صائب فقط، بل قد يكون عيشا لأجل سيجارة أخيرة مع من أمّنت بك حتى اللحظة الأخيرة.

يرى سكورسيزي

أن المعنى مرتبط

لزوما بالفعل

الإنساني وليس

مفارقا للنشاط

البشري بأي شكل

## تشابك الحب والفلسفة:

### قراءة في فيلم "عشاق الفلورا"\*

هذا الصدد قال سارتر " كنت واعيا على نحو استثنائي أي الشاب سارتر، في ذات الطريقة التي يتحدث بها الناس عن الشاب بيرليوزا والشاب غوته". كما كانت بوفوار تتخيل الناس بمنعون التفكير بقصة حياتها كما فعلت هي مع حيوات اميلي برونوتي وجورج ايليوت وكاثرين مانسفيلد: "أردت أن يقرأ الناس سيرتي ويجدونها مؤثرة وغريبة ". إن سارتر وبوفوار بنزوعهما الشديد إلى خط أسطورتهما الخاصة إنما يذكرنا في الحقيقة بروكانتان بطل رواية "الغثيان" عندما قال "لكي يصبح الحدث التافه مغامرة كبيرة ينبغي عليك أن تسرده".

على الرغم من إصرارهما الشديد على قول الحقيقة لبعضهما البعض وللقراء عموما فقد باح هذان الوجوديان ببعض من أسرارهما المتشابكة من وراء قريبهما، إذ أنهما دُفنا بجوار بعضهما البعض. فقد نشرت بعد ذلك رسائل الحب التي وجهتها بوفوار إلى المفكر الأمريكي نيلسون الغرين على الرغم من محاولة تهربها منه في كامل الفيلم. كما نشر لها بعد ذلك الرسائل المتبادلة بينها وبين جاك لوران بوست هل هذه هي سيمون دي بوفوار التي اعتبرت أن الكذب شكلا من أشكال النفاق البورجوازي؟ لعل هذا ما دفع أحد النقاد إلى أن يتساءل "كيف استطاعت بوفوار العيش مع ذلك الشخص ذي النظارات والصوت المعدني والبذلة الزرقاء المجعدة والمهوسوس بالسرطانات والشاذين جنسيا. في حين انها تمتلك مثل تلك الحيوية والذكاء والعذوبة. يا له من لغز".

خلاصة القول على الرغم من محاولتهما العيش وفق مبادئ الحرية والمسؤولية وعلى الرغم من إخفاقاتهما العديدة ومحاولات تجاوزهما أحيانا لفلسفتهم، إلا أنهما عاشا الحياة بكل كثافة وجعلوها جديرة بأن تعاش.

\* *Les amant du Flore* فيلم تلفزيوني فرنسي من إخراج إيلان دوران كوهين (



أن نفكر بسيمون دي بوفوار وسارتر يعني أن نفكر بالحرية. لذلك كان سارتر يردد لسيمون طوال الفيلم الشعر التالي "عش من دون وقت مستقطع" ولعل هذا ما نجده أيضا في كتابه "الوجود والعدم" عندما أقر أن " الإنسان محكوم عليه بان يكون حرا". إن فلسفة سارتر عن الحرية لم تكن من الناحية النظرية برجا عاجيا أو مجرد درس نظري يكتفي بإلقائه لطلبته وينصرف، بل على العكس من ذلك كانت ملتصقة بالحياة. لذلك فإن كل مغامراتهما في الفيلم كان بمثابة تحذير للتقاليد الاجتماعية. وكوجوديين فإنهما اعتبرا أن لا أحد بإمكانه أن يعلمهما كيف يعيشان حياتهما، ولا حتى حياة جبهما، وفي مشهد معبر، قالت سيمون دي بوفوار لسارتر " علينا أن ندرك أننا ابتكرنا نمطا جديدا من علاقتنا ولعله يتجسد في وحدتنا "

ومع نزوعتهما للعيش بحرية ودون قيود، كانا مهووسين بما يسميه سارتر "وهم السيرة" وهي الفكرة القائلة أن الحياة المعيشة يمكن أن تماثل الحياة المسرودة. في مراهقتهم كانا يتصوران حياتهما المستقبلية كأنها في عيون الأجيال القادمة. وفي

"عندما رأيت سارتر لأول مرة في حديقة دار المعلمين العليا، أيقنت انه لن يخرج أبدا من حياتي".

هكذا عبرت سيمون دي بوفوار في مذكراتها عن دفاء مشاعرها عندما رأت جون بول سارتر لأول مرة في حديقة دار المعلمين بباريس. وهو شعور استبطنته سيمون في كامل الفيلم الذي يمثل بوجه ما السيرة الذاتية لكل من هذين الفيلسوفان اللذان ارتبطا اسمهما ببعضهما البعض.

يبدأ الفيلم بعرض حدث هام مثل منعرجا حاسما في حياة كل من هذين الفيلسوفان وهو حصولهما على شهادة التبريز في الفلسفة. عندها لم يكونا بعد لا في مرحلة الصداقة ولا في مرحلة الحب وإنما كان ما يجمعهما فقط هو صديق مشترك. لكن في تلك المناسبة وإثر الانتهاء من الإعلان عن النتائج حاول سارتر أن يتقرب من سيمون دي بوفوار بقوله " كاستور... هذا أمر مدهش " فردت عليه سيمون وهي تحمل داخلها كل عنف وكثافة اللحظة "فعلا هو أمر مدهش ". ولعل ما يشد انتباهنا هو ذلك الاسم الذي أطلقه سارتر عليها " كاستور" وفي حقيقة الأمر هو يترجم عودة سارتر للميثولوجيا الإغريقية. يرسم لنا الفيلم بشكل جيد ذلك الظمأ إلى المطلق وتلك الرغبة الجامحة التي حركتهما للتحرر من كل أشكال القيم البورجوازية السائدة في فرنسا آنذاك. لذلك فان أول ما قامت به بوفوار بعد نيلها لشهادة التبريز ومباشرتها العمل كأستاذة جامعية هو تركها لمنزل أبويها لان أباهما كان يمثل بالنسبة إليها "وجها من وجوه مرض البورجوازي" وفي المقابل اكرت غرفة صغيرة في نزل.



بقلم: **مريم مقدي**

طالبة فلسفة والمشرفة على مجموعة "عكاظيات"

mogadimariem@gmail.com

كوجوديين، اعتبر سارتر

ودي بوفوار أن لا أحد

بإمكانه أن يعلمهما

كيف يعيشان حياتهما،

ولا حتى حياة جبهما

## قراءة في رواية "تغريبة القافر": ثنائية الموت والحياة



بقلم: **عبيير الكوي**

باحثة في العلوم الاجتماعية

ثانية ماجستير اختصاص "تنمية محلية

وعمل جمعياتي"

koukiabir643@gmail.com

العاطفة من المال ومن السلطة. إنه الضعيف المهزوم العاجز. ثم يحوّل الجفاف القافر إلى الشخصية المنقذة وهو ما يجعله يعثر على المعنى. من خلال نجاحه في إنقاذ القرية، وقدرته الفريدة على تتبع أثر الماء واكتشاف "الفلج"، يتمكن من اكتساب لقب "القافر" وكأن زهران يريد أن ينتصر لبطله وكأنه يعوضه عن المرارة التي عاشها والسخرية والظلم والنبد من خلا منحه قيمة كان مجردا منها. فالموهبة التي كانت



يأتينا زهران القاسمي في رواية "تغريبة القافر" بأبناء القرى، أحاديثهم، شخصياتهم الفريدة، ويطلعنا على أسرارهم في مائتين وثمانية وعشرين صفحة عشنا خلالها رحلة القافر الذي أراد أن يحملها معنى الحياة التي تنطوي على الموت دائما.

في قرية منسية يسمونها المسفاة، يولد طفل من رحم المعاناة لا يشبه كل الأطفال. تبدأ الرواية بتلازم بين ثنائية الموت

سبب شقائه تغدو الان سبب تقدير الناس له. حول حكاية القافر تظهر العديد من الشخصيات التي تشبهه في منفاه: "الوعري" مثلا وغيره، كما تدخل العديد من القضايا في تشكيل بنية الأحداث: التلاعب بالدين، استغلال النفوذ، البلاد الجاحدة، وهو ما يتجلى في وصية أبيه عند انهيار سقف الفلج "باه بلادك ما بلاد، البلاد الي تاكل أموالك بلاد فاجرة، البلاد بو تستغلك وتاخذك تمرة وبعدين ترميك فلحة ما بلاد، باه سالم دور على بلاد غيرها، البلاد بو تنكر جميلك ما تستحق تعيش فيها ساعة". ثم تعود الحكاية لتنتهي بذلك الصراع الثنائي بين الموت والحياة حتى يولد المعنى والإنسان الأعلى، فالألم هو معيار الإنسانية ومقدار قدرة الإنسان على التحمل تقاس انسانيته على رأي نيتشه.

\*تغريبة القافر: رواية لزهران القاسمي، صادرة عن دار رشم للنشر والتوزيع في

2022

أن تكون مختلفا داخل مجتمع قروي تسوده الأعراف والخرافات؟

حاول زهران الإجابة على هذا السؤال من خلال السردية التي طرحها. تتفشى الخرافة في الطبقات الفقيرة كوسيلة لتخفيف الآلام من خلال الأوهام وللتعبير غير الواعي عن العجز، ولغياب التصدي العقلائي لأزمات الحياة وهو ما نلاحظه في "تغريبة القافر"، لذلك اعتبروا أن ولادة طفل من جوف مينة هو نذير شؤم وهو ما دفعهم لوصمه بـ"ولد الغريقة". نكتشف الظلم الذي عاشه سالم الطفل المعجزة وسعيه لإثبات نفسه، وهو المرفوض الموصوم بالساحر والمجنون والمنبوذ من أقرانه المنفي في عزلته لا يؤنسه إلا صوت الهدير وأصوات الأكوان الأخرى وكأنه خارج عالم البشر. رحلة القافر لم تكن إلا بحثا عن المعنى لحياته التي صورها زهران في البداية خالية من كل شيء: من

والحياة. تغرق الأم في البئر لكن جنينها يقاوم وتسري فيه الحياة التي فارقتها الأم. تحدث هذه الحادثة الغريبة الصدمة في بداية الرواية وهي التي تشكل السردية الروائية فكأن كل ما يدور في الرواية له ارتباط وثيق بحادثة البداية، يقودنا زهران القاسمي إلى خبايا بلدة المسفاة ويشاركنا أسرارها، ونبدأ مع بطله القافر سالم ابن عبد الله الرحلة، بولادة طفل مختلف في قرية نائية داخل مجتمع محلي منغلق على نفسه، طفل يسمع أصوات الطبيعة ويقتفي أثرها، أثر حفيف أوراق الشجر، صوت رفرقة الفراش، دبيب النمل، والصوت الذي تبعه صوت انهمار الماء في جوف الأرض، رمزية الحياة.

على امتداد أحداث الرواية يشق القافر طريقه محاولا الاندماج داخل مجتمعا لا يقبل الاختلاف، ما معنى

تتفشى الخرافة في

الطبقات الفقيرة

كوسيلة لتخفيف الآلام

من خلال الأوهام

# ورود الصغيرة إيدا

## قصة لهانز كريستيان أندرسون



### ترجمة: رجاء عمّار

باحثة في علوم الإعلام والاتصال  
شاعرة وقاصة

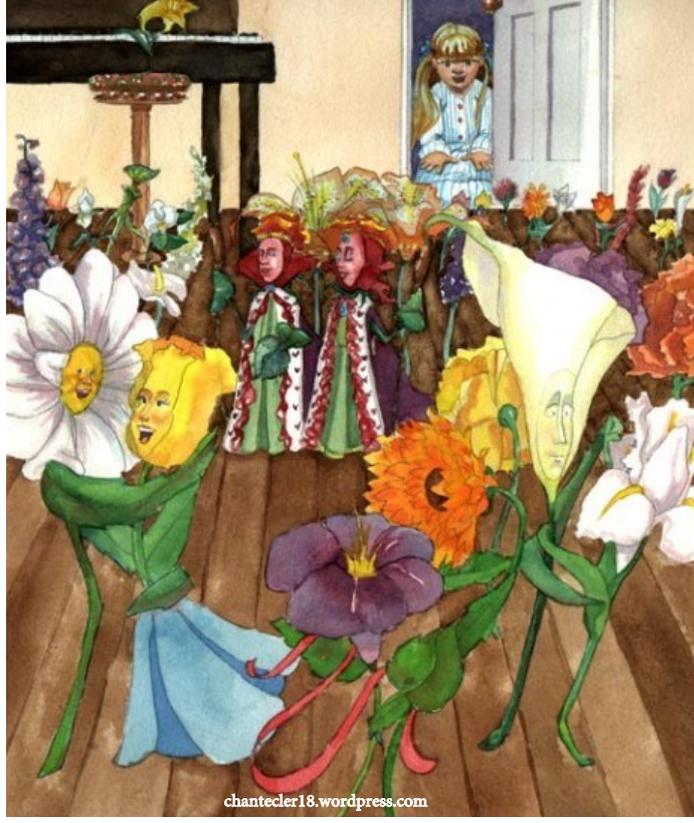
rajabalsam@gmail.com

قالت الصغيرة إيدا:

وزنابق الوادي الصغيرة

ترقص في قصر الملك؟

- "لقد ذبلت ورودي المسكينة، ما فتئت محافظة على رونقها حتى البارحة مساء، ما الذي ألمّ بها يا ترى؟"
- وجهت هذا الاستفهام لطالب العلم الجالس حذوها على الأريكة، هي تكّن له محبة جمّة، لأنه يجيد سرد الحكايات الأكثر سحرا، ويحسن القصّ واللصق لتشكيل الصور الأشدّ ظرفا مثل القلوب التي يجعلها أهلة بنساء يرقصن، والورود والقصور الشامخة التي يمكن فتح بابها...كم هو مرح!
- تساءلت إيدا مرّة ثانية، وهي تعرض عليه باقة جفّت بالكامل:
- "لماذا تبدو ورودي، اليوم، بهذا المظهر الحزين جدّا؟"
- أجاب الطالب:
- "سأخبرك ماذا أصابها، لقد سهرت في حفلة رقص، وهو ما يفسّر انحناء رؤوسها بهذا الشكل!"
- اعترضت الصغيرة إيدا:
- "...لكنّ الورود لا تحسن الرقص!"
- "إنها تتقن ذلك فعلا، حين يخيم الظلام ونام، تقفز لتمنح قلبها ما يحتاجه من متعة، إنَّها تقوم بذلك كل ليلة تقريبا"
- "ألا يستطيع الأطفال الذهاب لحضور حفلة الراقص؟"
- "بلى، ذلك ممكن للأطفال الذين يزورون الحدائق، فهم مثل الأقاحي
- "أين ترقص الورود الجميلة؟"
- "ألم يسبق وغادرت المدينة، لتتنزّهي حذو القصر المنيف الذي يقطنه الملك صيفا، وأين توجد حديقة بديعة ملأى ورودا؟ ألم تبصري البجع الذي يسبح نحوك حين تلقين إليه فئات الخبز؟ صدقيني، في ذلك المكان تقام حفلات الرقص الكبرى!"
- "لقد ذهبت مع أمي إلى الحديقة، لقد تجرّدت الأغصان من أوراقها ولا أثر لوردة واحدة، رغم أنّي لطالما تأملتُها صيفا، أين عساها رحلت؟"
- "إنَّها داخل القصر، حين يعود الملك وحاشيته إلى المدينة، تغادر الورود سريعا الحديقة، تدخل القصر وتعيش حياة رغدة! آه! لو تشاهدين ذلك: أجمل زهرتين تتصدّران العرش كملك وملكة، تصطفّ شقائق النعمان على الجهتين وتنحني إجلالا لهما، إنَّها ضابطة المملكة، بعدها تأتي بقية الورود ويُقام الحفل، يراقص البنفسج الأزرق - الذي يحتلّ رتبة تلاميذ البحريّة - الخزامى والزعفران التي تلقّب بالآنسات، التوليب والزنبقات الكبيرة الحمراء هي السيدات المسنّات المكلفات بمراقبة حركات الرقص حتّى تحافظ على الانسجام وتسهر كي تجري الأمور على أحسن ما يرام!"
- استدركت الصغيرة إيدا:
- "ألا يعاقب أحد الورود لأنَّها
- "لا أحد يعلم بأمرها تقريبا، صحيح، أنّ المشرف يأتي أحيانا، أثناء الليل، ليقوم بجولته، وهو يملك سلسلة مفاتيح ضخمة وبمجرّد أن تنصت للورود إلى الصليل، تلتزم الهدوء وتختبئ وراء الستائر الطويلة، ولا يظهر منها سوى الرأس، فيقول المشرف العجوز: "أشعر أن هناك ورودا في هذا المكان"، لكنّه، يعجز عن رؤيتها!"
- علّقت الصغيرة إيدا وهي تصفّق:
- "هذا بديع! ألا أستطيع رؤية الورود وهي ترقص؟"
- "قد يكون ذلك ممكنا، حين تعودين إلى حديقة الملك، أطلي عبر النافذة وستريها، لقد قمت بذلك اليوم، أبصرت زنبقة صفراء ممشوقة ممدّدة على الأريكة، إنَّها سيّدة البلاط!"
- "هل تذهب ورود حديقة النباتات إلى هناك أيضا؟ كيف تستطيع تحمّل مشقّة الطريق الطويل؟"
- "هي قادرة على الطيران إذا أردت، ألم تلحظي الفراشات الجميلة الحمراء والصفراء والبيضاء؟ ألا تشبه إلى درجة التماثل الورود.. ذلك أنّ هذه الفراشات لم تكن في البداية إلا ورودا غادرت فنَّها وارتفعت في الجوّ، وحرّكت أوراقها كأجنحة صغيرة وانطلقت محلّقة، ولأنَّها حسنة السلوك، سُمح لها بالطيران طيلة اليوم، ولم تعد بحاجة للبقاء مشدودة لسوقها، وبهذه الطريقة، تتحوّل الأوراق أجنحة حقيقية، وأنت عابنت ذلك بنفسك! من المحتمل أنّ ورود حديقة النباتات لم تذهب أبدا إلى حديقة الملك،



chantecler18.wordpress.com

ذلك!، وحملت الدمية التي ارتسمت على محياها علامات الضيق، ولم تبس بنت شفة من شدة غضبها لأنها لا تستطيع البقاء في فراشها.

وضعت إيدا الورود على سرير صوفي، وغطتها جيداً باللحاف الصغير وطلبت منها بلطف أن تنعم بالهدوء، في الأثناء، ستعد لها شاياً لتتفتح مجدداً وتنهض غدا صباحاً معافاة، بعدها أسدلت الستائر المحيطة بالسرير الصغير كي لا تزعجها أشعة الشمس.

طيلة السهرة، لم تقدر إيدا على التوقف عن التفكير فيما حدث لها به الطالب. حين حلت ساعة النوم، توجهت أولاً نحو ستائر الشبايبك، ورفعتها لتكلم بصوت خفيض زهور المرغريت والتوليب التي تصفها أمها على الشرفة:

- "أعلم أنك ستذهبين إلى الحفل هذه الليلة!"

تظاهرت الورود أنها لم تفهم شيئاً، ولم

مجئها، وبعدها، أبدع ساحرة عجوزاً تمتطي صهوة مكنستها وتخبّ حاملة زوجها على أنفها.

لم يقدر المستشار على تحمّل هذه المزحة، وكرّر قوله الأولى: "كيف يمكن عرض أفكار شبيهة وتخزينها في ذهن طفلة؟ إنه خيال يرشح غباء!"

في المقابل، تعتبر الصغيرة "إيدا" كل ما يرويه الطالب فاتناً لا مثيل له، ويشغل حيزاً كبيراً من تفكيرها. الورود تطأطأ رؤوسها لأنها مرهقة بسبب الرقص طيلة الليل، لا ريب أنها مريضة، فحملتها قرب ألعابها المصفوفة على الطاولة الصغيرة الجميلة ذات الدرج المملوء بالأشياء الأخاذة.

وجدت دميته صوفي مضطجعة نائمة، لكن الصغيرة قالت لها: "يجب عليك النهوض وسأؤويك الدرج، الورود المسكينة مريضة وهي بحاجة إلى الاستلقاء على سريرك، قد يشفيها

وتجهل أنه يتم إقامة الليالي الملاح البهيجة، لذلك أودّ أن أوصيك، حين تذهبين إلى الحديقة، أعلمني وردة أنّ هناك حفلاً كبيراً في القصر، وهي ستتكلّف بنقل الخبر للأخريات وستطير! هل يمكنك تخيل عيني جارناً عالم النباتات وهو يحملق بدهشة، حين يتفقد حديقته ولا يجد فيها أيّ وردة دون القدرة على فهم ماذا حصل؟"

- "كيف يمكن لوردة أن تخبر الأخريات؟ الورود لا تحسن الكلام!"

- "هذا صحيح، غير أنها تجيد التمثيل الإيمائي، ألم ترني في معظم الأحيان، عندما تهبّ الريح، تميل الورود وتقوم بإشارات برأسها؟ ألم تلحظي أنّ جميع الأوراق الخضراء تهتز؟ هذه الحركات واضحة ومفهومة بينها مثل الكلام بالنسبة لنا!"

استفهمت إيدا:

- "هل يفقه الباحث في علم النبات لغتها؟"

- "نعم، بالتأكيد، في أحد الأيام، بينما هو في الحديقة، لمح نبتة قرّاص كبيرة تشير بأوراقها لقرنفل أحمر بارع الحسن وتبوح له: "كم أنت جميل! كم أحبك!"، فغضب العالم، وضرب الأوراق التي تمثّل أصابع نبتة القرّاص، فوخزته. منذ ذلك الحين، عندما يتذكّر صنعها، لا يجراً على لمس أيّ واحدة منها!"

هتفت الصغيرة إيدا: "هذا طريف!، وعلت ضحكتها الرنانة.

دخل مستشار عبوس للقيام بزيارة، وجلس بدوره على الأريكة، وأنصت للحوار، ليستنكر:

- "كيف يمكن حشو رأس طفلة بأفكار شبيهة؟"

لم يرق له طالب العلم، ولم يكف عن المهمة، حين رآه يفضل صوره الصغيرة المضحكة والمسلية، شكّل في البداية رجلاً معلقاً على مشنقة ويمسك بكفّه قلباً

القوية التي تتحلّى بها الوردات الجميلة إذ استعادت مظهرها الجذاب والتحتت بالبقية وأظهرت سعادة عارمة.

فجأة، تدرج شيء ما على الطاولة وسقط، نظرت إيدا، إنها نبتة عصا الذهب التي وقعت أرضاً، يبدو أنها أيضا تريد أن تسجل حضورها في حفلة الورد، تربعت على صولجانها دمية من الشمع لديها قبعة كبيرة عريضة متطابقة مع تلك التي يعتمرها المستشار.

تقافزت نبتة العصا الذهبية بين الورد متوكتة على عكازيها الثلاثة، وأخذت في توقيع الوزن بقوة وترقص على موسيقى المازوركا وهي الوحيدة القادرة على ذلك، فبقية الورد خفيفة جدا وتعجز عن إصدار تلك الضجة بسوقها.

على حين غرة، تمددت الدمية المشدودة للصولجان وكبرت، استدارت نحو الورد وصاحت بأعلى صوتها:

- "كيف يمكن حشو عقل طفلة بسردي حكايات شبيهة! هذا تخيل أحق!"

غدت دمية الشمع شبيهة بصورة لافتة للمستشار بقبعته العريضة، لها نفس لون البشرة الممتقع وذات المزاج المعكر دائما، لكن سوقها الطويلة الهشة لم تسمح لها بالاستمرار في تعجبها: ضربتها الورد بقسوة، تقلصت فجأة وعادت دمية صغيرة.

كم هذا طريف! لم تتمالك الصغيرة إيدا نفسها وضحكت.

واصلت عصا الذهب الرقص، ووجد المستشار نفسه ملزما على المسابرة رغم مقاومته، فهو حيناً يكبر ويغدو ضخما وطويلا، وكرة أخرى يعود إلى حجم الدمية الصغيرة بقبعته الكبيرة السوداء،

رأته!

لا يوجد قنديل، ذاك صحيح، غير أن المشهد يتمتع بإنارة جيدة منحها القمر الذي عبر ضوءه النافذة إلى القاعة، وهو ما يجعل الرؤية جلية مثلما هو الحال في وضوح النهار.

وقفت كل ورود المرغريت والتوليب في صفين طويلين ولم تبق أي واحدة على الشرفة فكل الأوص فارغة. انهمكت في الرقص مع بعضها البعض بشكل أسر وتتفنن في تنويع الوضعيات وتمسك بأوراقها الخضراء لتشكل حلقة كبيرة.

على كرسي البيانو، جلست زنبقة صفراء هيفاء تعرّفت عليها إيدا في الصائفة، لأنها تذكر جيدا أن الطالب قال "انظري، كم تشبه هذه الزنبقة الآنسة "كارولين"، سخر منه الجميع، لكن الصغيرة إيدا أكدت أن الورد الكبيرة الصفراء تماثل بطريقة مثيرة للعجب هذه الآنسة، إذ يتشاركان نفس طريقة لمس مفاتيح البيانو، وتميل كل منهما وجهها بلون بشرته الأصفر حيناً لهذه الجهة وحيناً للجهة الأخرى، وتعدلان الوزن برأسيهما أيضا.

لم يلحظ أحد وجود الصغيرة إيدا التي لمحت بعد ذلك الزعفران الأزرق يثب فوق الطاولة أين توجد ألعابها، ورفع الستار المسدل على سرير الدمية أين استلقت الورد المريضة التي استفاقت على الفور، وعبرت بإيماءة بالرأس أنها ترغب بدورها في الرقص، ما حدا بالمزهرية، التي تتخذ شكل رجل طيب فقد شفته السفلى، الثناء على الإرادة

تحرك أي ورقة، وهو ما لم يقدر على بث الشك في روح إيدا بل ازدادت يقينا بما أحيطت به علما. حين أوت إلى سريها، فكرت في المتعة التي ستحظى بها عند رؤية الورد وهي ترقص في قصر الملك، وتساءلت: "هل ذهبت ورودي يا ترى؟"، ثم غلبها النعاس ونامت، لتستيقظ، بعد منتصف الليل، وقد حلمت بالورد وبطالب العلم والمستشار الذي أثبه.

الصمت يعم المكان في غرفة إيدا والقنديل على الطاولة يستمر في الإنارة والأب والأم نائمان.

حدثت إيدا نفسها:

- "أتوق إلى التثبت.. هل ورودي ما زالت مستلقية على سرير صوفي؟ نعم أريد معرفة ذلك!"

عدلت جلستها ورنّت نحو الباب الموارب وأرهفت السمع، وبدا لها أنها تصغي إلى عزف على البيانو متأت من قاعة الجلوس، تنساب الأنغام بلطف ورقة لم يسبق لها الإصغاء إلى مثيل لها.

- "إنها الورد لا ريب دشنت حفلتها! آه! يا إلهي! كم أتلهف لرؤيتها!"

لم تملك الشجاعة كي تنهض خشية تنبه والديها من غفوتها، وأملت أن تدخل الورد إلى حجرتها، لكنها، لم تذف واستمرت أنغام الموسيقى تتهاى بعذوبة.

لم تستطع إيدا كبح جماح رغبتها، غادرت فراشا ومشت على أطراف أصابع قدميها نحو الباب لرؤية ما حصل في القاعة، آه! كم بديع ما

لكن في النهاية شفعت له الورود، خاصة تلك التي غادرت فراش الدمية صوفي، وظلّت عصا الذهب هادئة تصغي إلى مراقبتها.

سُمع طرق عنيف يصدر من درج الطاولة أين خبأت إيدا ألعابها الأخرى، جرى الرجل - المزهريّة التي يعقب منها الشذى حتّى بلغ حافة الطاولة، انبطح على بطنه ونجح في فتح الدرج قليلا، اعتدلت صوفي في جلستها ونظرت حولها مدهوشة، لتعلّق: "هناك حفل إذن؟ لماذا لم يخبرني أحد بذلك؟"، اقترح عليها الرجل المضمخ بالعطور مشاركته الرقص، غير أنها ردّت ساخرة: "وهذا أيضا يحسب نفسه راقصا!"، وأولته ظهرها.

جلست بعد ذلك على الدرج وخمّنت أن إحدى الورود ستأتي لدعوته، لكن أيا منها لم تتقدّم نحوها. تعمّدت السعال وهمهمت: "همم..هممم"، دون جدوى، في حين، انغمس الرجل-المزهريّة في الرقص متغافلا عنها.

عندما لم تبد أيّ وردة اهتماما، أوقعت صوفي نفسها عمدا من الدرج لتسقط على الأرضيّة محدثة جلبة. هرعت جميع الورود نحوها، وسألته هل أصابها مكروه وعاملتها بمودة، خاصة تلك التي استلقت على سريرها، وشكرتها على الفراش المريح، حين يتّقت أنها لم تتأدّ، قادتها وسط القاعة أين ينير القمر، وانطلقت في الرقص معها، وشكّلت بقية الورود حلقة للفرجة عليها. أكدت لها صوفي، وهي في أوج سعادتها، إمكانية الحلول مكانها دائما والاسترخاء على السرير مصرحة أنّ النوم في الدرج لا يزعجها.

أجابتها الورود:

- "نحن نشكرك على عرضك، ونكّن لك المحبة والاحترام، بيد أننا لا نستطيع العيش طويلا، سنذبل غدا، لكن، بلّغي الصغيرة إيدا أن توارينا في نفس المكان من الحديقة الذي دفنت فيه طائر الكناري الصغير، سنُبعث مجددا في الصيف، وسنعود إلى الحياة أكثر بهاء!"

ردّت صوفي وهي تقبّل الورود:

- "لا! لا يجب أن تستسلمي للفناء!"

في ذات الآن، فُتح باب القاعة الكبير ودلفت حشود من الورود البديعة وهي ترقص، لا ريب أنّها ورود قصر الملك جميعها. في المقدّمة، تمشي زهرتان باهرتا الحسن يكلّل رأسيهما تاجان من الذهب، إنهما الملك والمملكة، يليهما القرنفل الأشدّ فتنة ملقيا التحية، مصحوبة بفرقة موسيقيّة مكوّنة من ورود الخشخاش الكبيرة التي تنفخ بقوة في قرون الفاصولياء حتى تشرّبت بشرتها بحمرة قرمزيّة، تصدر الخزامى الزرقاء وزهرات اللبن الثلجية رنيئا كما لو أنّها تحمل أجراسا حقيقيّة..إنّها موسيقى لافتة حقا!

انضمّت الورود إلى المجموعة الجديدة، ويمكن رؤية البنفسج يرافق القطيفة، ويعانق الأقحوان المرغريت، يقبّل بعضها البعض، يا له من عرض آسر!

بعدها، تمّت الورود ليلة هنيئة، وعادت الصغيرة إيدا إلى فراشها وحلمت بكلّ ما رآته.

في الغد، منذ استفاقت جرت نحو الطاولة الصغيرة لترى هل ما زالت

الورود موجودة هناك، أشرعت ستائر السرير الصغير، ألقتها جميعها ولكن أكثر جفافة من الأمس، و"صوفي" مستلقية في الدرج أين وضعتها وتبدو أنّها تنعمت بنوم عميق، سألتها الصغيرة إيدا:

"- هل تذكرين ما عليك إخباري به؟"

لكن، حافظت صوفي على ملامحها المبهوتة، ولم تجب بأيّ كلمة.

أضافت إيدا:

- "أنت لست طيبة، رغم أنّ جميع الورود رقصت معك!"

أخذت الطفلة علبة ورقية موشاة برسوم عصافير مليحة، ووضعت داخلها الورود الذابلة وهي تحادثها: "هذا هو نعشك الصغير الأنيق، حين يأتي ابنا خالي لزيارتي سيساعداني على مواراتك في الحديقة كي تبعثي صيفا، ستعودين إلى الحياة أكثر جمالا!"

ابنا خال الصغيرة طفلان مرحان، أحدهما يدعى جوناس والآخر أدولف، منحهما أبوهما قوسين جلباهما معهما كي يعرضانها على إيدا.

حكّت لهما الطفلة حكاية الورود المسكينة التي ذبلت، ودعتهما لمواراتها. مشى الولدان في المقدّمة يحملان نشأبتيهما على كتفيهما، تبعتهما الصغيرة إيدا حاملّة الورود الذابلة داخل تابوتها. حفرّوا رسما صغيرا في الحديقة، وضعت فيه الصغيرة العلبة بعد أن منحت الورود القبلة الأخيرة. سدّد الطفلان سهمين نحو السماء لإتمام مراسم التوديع.



# جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الإلكتروني: [contact@tounesaf.org](mailto:contact@tounesaf.org)

الموقع: [www.tounesaf.org](http://www.tounesaf.org)

فايسبوك: [facebook.com/tounesalfatet](https://facebook.com/tounesalfatet)

تويتر: [twitter.com/tounesalfatet](https://twitter.com/tounesalfatet)

انستغرام: [@tounesaf](https://www.instagram.com/tounesaf)